شرح

# كشف الشبهات

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

شرح فضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله تعالى

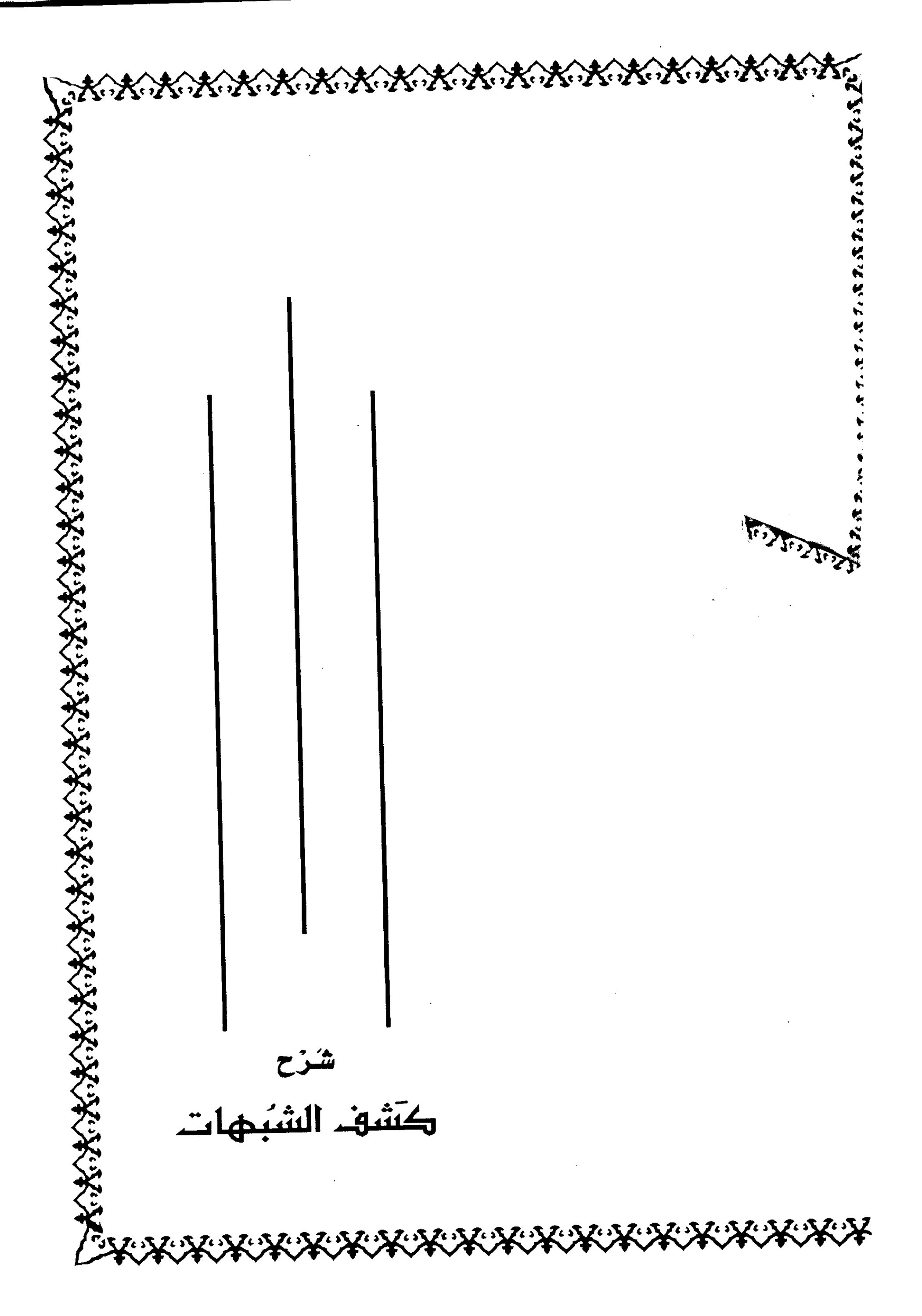
دار البصيرة

الإسكندرية



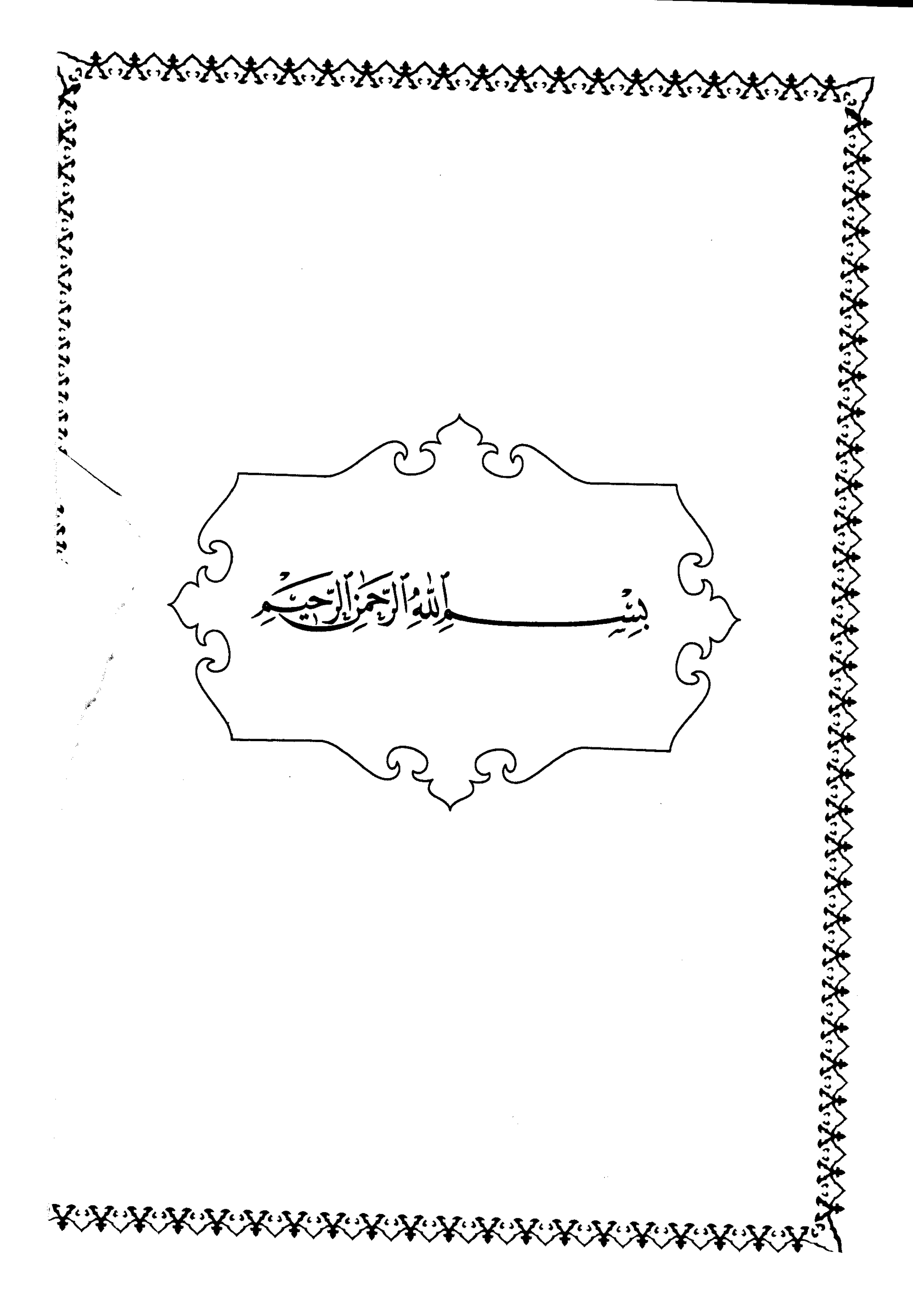



دار البصيرة
جمهورية مصر العربية
الإسكندرية - ٢٤ ش كانوب - كامب شيزار - ت: ٥٩٠١٥٨٠



شرح

# كشف الشبهات


بسم الله الرحمن الرحيم




▫ **ولادته ونشأته ورحلته لطلب العلم:**

ولادته سنة ١١١٥هـ الموافق ١٧٠٣م، وفاته سنة ١٢٠٦هـ. ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد التميمي في بلدة العيينة الواقعة شمال الرياض، ونشأ الشيخ في حجر أبيه عبد الوهاب في تلك البلدة في زمن إمارة عبد الله بن محمد بن حمد بن معمر.

وكان رحمه الله سباقاً في عقله وفي جسمه فطناً ذكياً، فقد استظهر القرآن قبل بلوغه العشر، وبلغ الاحتلام قبل إتمام الاثنتي عشرة سنة، قال أبوه: رأيته أهلاً للصلاة بالجماعة وزوجته في ذاك العام.

▫ **طلبه للعلم:**

درس على والده الفقه الحنبلي والتفسير والحديث، وكان في صغره مكباً على كتب التفسير والحديث والعقائد، وكان يعتني بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الحافظ ابن القيم ـ رحمهما الله ـ ويكثر من مطالعة كتبهما.

▫ **رحلاته العلمية:**

ثم غادر البلاد قاصداً حج بيت الله الحرام، وبعد أدائه الفريضة أم المدينة المنورة وقصد المسجد النبوي وزار إمام المرسلين ﷺ وصحابته الأبرار المخلصين.

وقرأ على بعض علماء المدينة، ومن مشايخه هناك الشيخ عبد الله بن إبراهيم ابن سيف من آل سيف النجدي والشيخ علي أفندي الداغستاني والشيخ إسماعيل العجلوني، كما استفاد من الشيخ عبد اللطيف العفالقي الأحسائي والشيخ محمد العفالقي الأحسائي والشيخ محمد حياة السندي، ثم رجع إلى نجد وتوجه إلى البصرة فأقام مدة في البصرة ودرس العلم فيها على جماعة من العلماء، منهم الشيخ محمد المجموعي، وقد قرأ عليه الكثير من النحو واللغة والحديث وغيرها. وذكر المؤرخ ياسين بن خير الله الخطيب العمري الموصلي في كتابه (غرائب الأثر) أن الإمام محمد ابن عبد الوهاب قدم الموصل وقرأ العلم على العلامة مولانا ملا حمد الجميلي وأخذ عنه الكثير، ويقال: أن المؤرخ العمري كان معاصراً للإمام.

ثم رجع إلى نجد، ومر في طريقه بالأحساء، وقرأ على الشيخ محمد بن عبد اللطيف الشافعي مدة من الزمن، ثم رجع إلى بلاده، وقد شاهد أحوال نجد والحرمين والعراق وغيرها من البلدان من المنكرات والشركيات والبدع والضلالات حتى عندما كان في المدينة المنورة يسمع الاستغاثات برسول الله ودعائه من دون الله، فقال للشيخ محمد حياة السندي: ما تقول يا شيخ في هؤلاء؟ فأجابه على الفور: إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون.

### ◻ عقيدته:

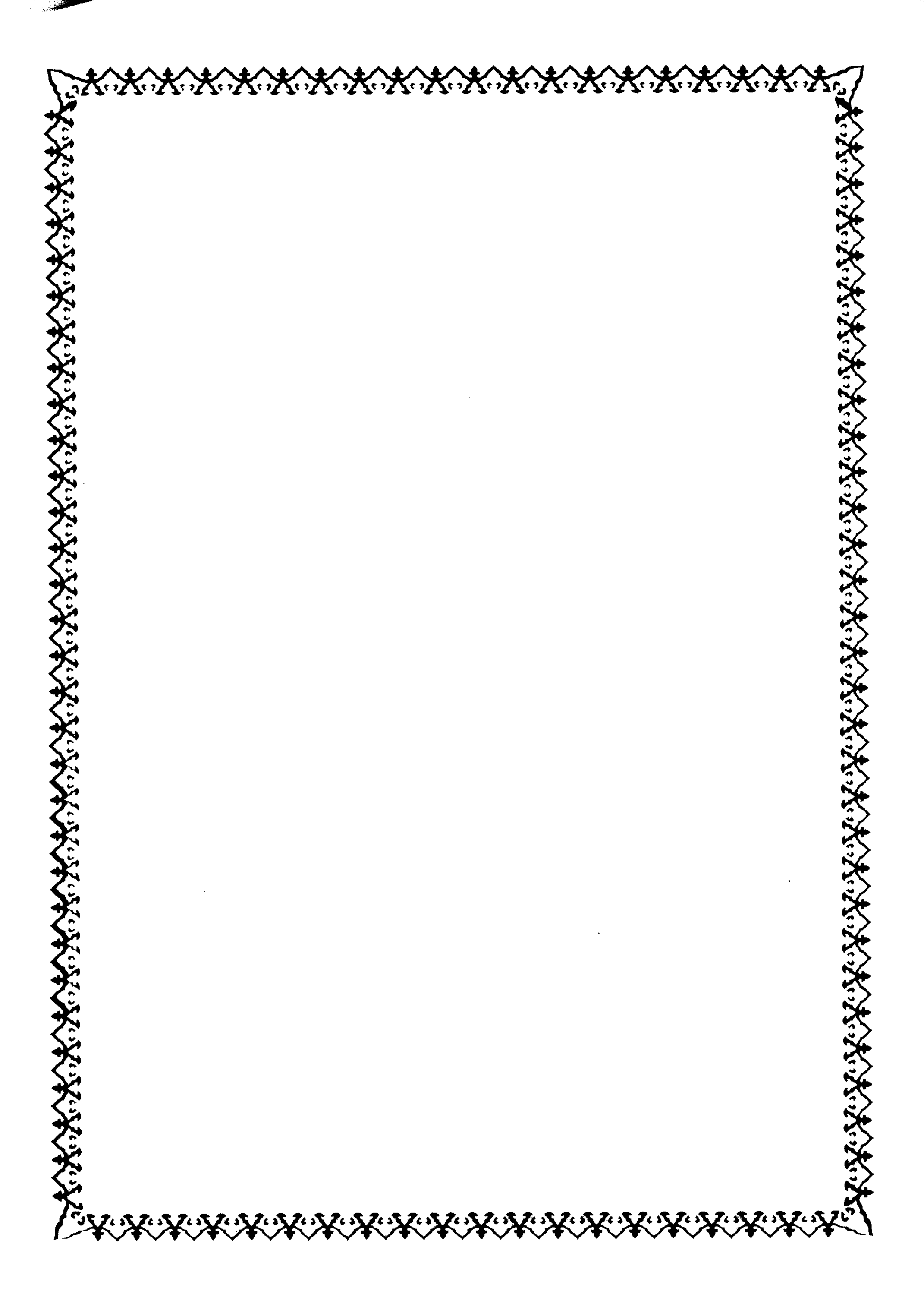
يعتقد أن الله واحدٌ أحدٌ، فردٌ صمدٌ، لا شريك له ولا مثيل ولا وزير ولا مشير، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، يُفرد بالعبادة، لا يُشرك به أحد، لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌ مرسل، لا يفرق بين أحد من أنبياء الله ورسله، ويعتقد أن محمّداً أفضلهم وخاتمهم، وأن خير الناس الصحابة ثم التابعون.

يؤمن بالقدر خيره وشره، ويبرأ مما قاله النفاة المخالفون لسبيل المؤمنين من القدرية والجبرية. ويعتقد بأفضلية الخلفاء المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، ويوالي كافة أهل الإسلام وعلمائهم من أهل الحديث والفقه والتفسير، ولاسيما أئمة المذاهب الأربعة ويرى فضلهم وإمامتهم.

يؤمن بما وصف الله به نفسه في كتابه وعلي لسـان رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيـيف، ولا تمثـيل، وأن الله ليس كـمـثله شيء وأن الله على كل شيء قدير، ويؤمن بفتنة القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد يوم الحشر.

يعتقـد بأن كل محدثة بدعة، وأن الإيمان قـول باللسان وعمل بالجوارح واعـتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعـصية، ولا يكفر أحـداً من المسلمين بذنب ما لم يستحله، ويرى هجر أهل البدع ومبـاينتهم حتى يتوبوا ويحكم عليهم بظاهرهم ويكل سرائرهم إلى الله.

❀❀❀❀❀








- **اسمه:** محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهيبي التميمي.
- **كنيته:** أبو عبد الله.
- **مولده:**

ولد الشيخ ـ رحمه الله ـ في مدينة (عُنيزة) وهي إحدى مدن (القصيم) في يوم ٢٧ رمضان عام ١٣٤٧هـ.

- **نشأته:**

قرأ القرآن الكريم على جدِّه من جهة أمه عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ فحفظه ثم اتجه إلى طلب العلم، فتعلم الخط والحساب، وبعض فنون الآداب، وكان الشيخ قد رزق ذكاءً، وهمةً عالية، وحرصاً على التحصيل العلمي، في مزاحمته بالركب للعلماء.

- **مشايخه:**

استفاد الشيخ أبو عبد الله في طلبه للعلم من عدة شيوخ، بعضهم في مدينة عنيزة، وبعضهم في الرياض عندما سكنها للدراسة النظامية، ومن الشيوخ الذي تدرس عليهم:

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ـ الشيخ علي بن حمد الصالحي ـ الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع ـ الشيخ عبد الرحمن بن علي ابن عودان ـ الشيخ عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ.

**تلاميذه:**

لا يمكن حصر جميع من تتلمذ على الشيخ؛ لأنهم ازدحموا في مجلسه ـ لاسيما في السنوات الأخيرة ـ بما يزيد على الخمس مائة طالب في بعض الدروس، على اختلاف مستوياتهم.

**آثاره العلمية:**

لقد صنف الشيخ ـ رحمه الله ـ آثاراً علمية في مجالات شتى، من مسموع، أو مكتوب. في العقيدة، والفقه، والحديث، والأخلاق، والسلوك، والمعاملات، وغيرها، مما كان لها الأثر الكبير في استفادة الناس منها، سواء على مستوى عامة الناس، أو طلبة العلم.

ومن بعض آثاره العلمية: فتح رب البرية بتلخيص الحموية ـ مصطلح الحديث ـ الأصول من علم الأصول ـ رسالة في الوضوء والغسل والصلاة ـ كفر تارك الصلاة ـ مجالس رمضان ـ الأضحية والذكاة ـ المنهج لمريد العمرة والحج ـ تسهيل الفرائض ـ لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ـ شرح العقيدة الواسطية ـ عقيدة أهل السنة والجماعة ـ القواعد المثلى ـ رسالة في الحجاب ـ رسالة في الصلاة والطهارة لأهل الأعذار ـ مواقيت الصلاة ـ سجود السهو في الصلاة ـ أقسام المداينة ـ وجوب زكاة الحلي ـ تفسير آية الكرسي ـ الضياء اللامع من الخطب الجوامع ـ الفتاوى النسائية ـ زاد الداعية إلى الله ـ فتاوى الحج ـ المجموع الثمين ـ حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة ـ الخلاف بين العلماء أسبابه وموقفنا منه ـ من مشكلات الشباب ـ رسالة في

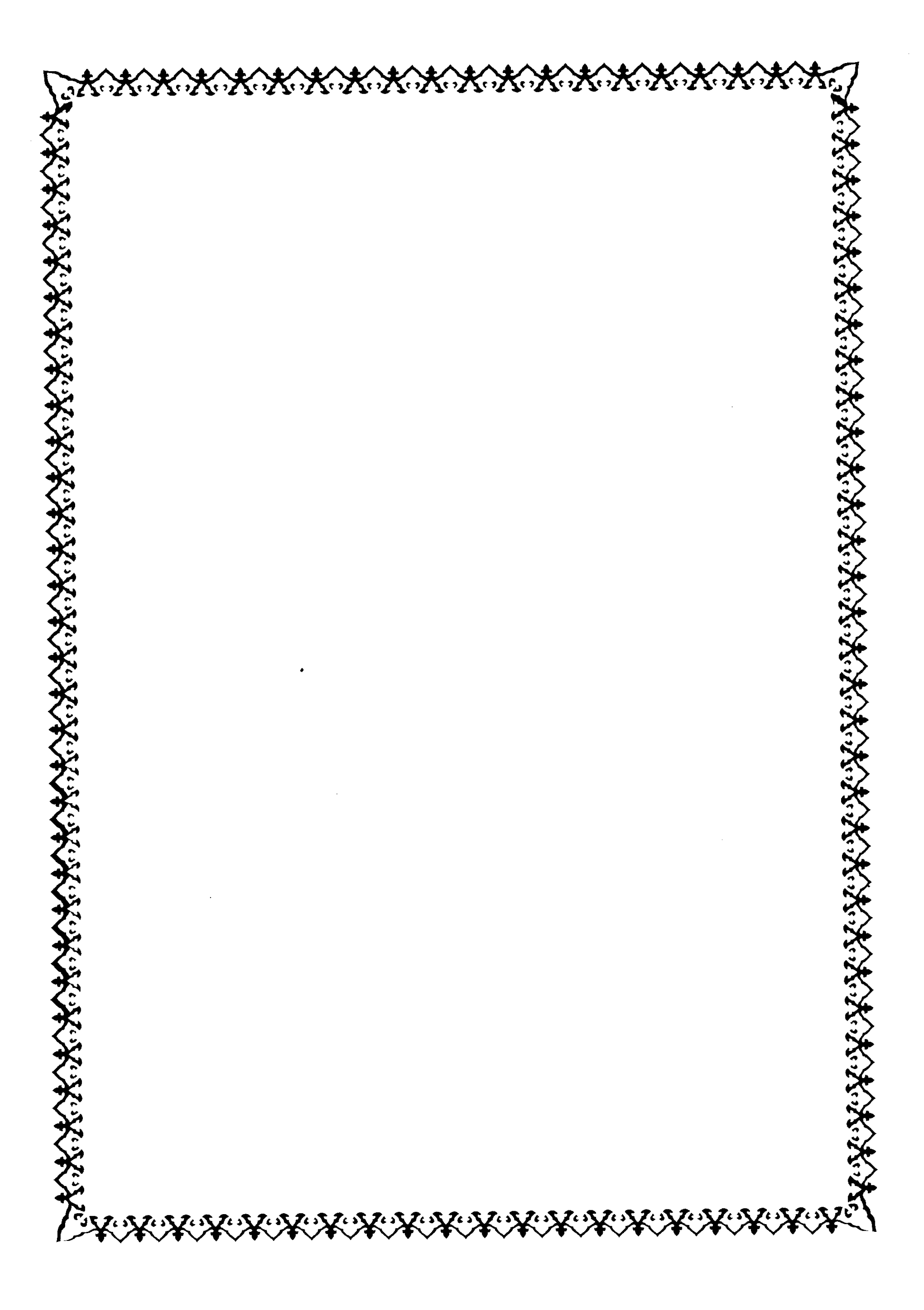
المسح على الخفين ـ أصول التفسير ـ رسالة في الدماء الطبيعية للنساء ـ أسئلة مهمة ـ الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع ـ إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المحتار ـ رسالة في أحكام الميت وغسله ـ نيل الأرب من قواعد ابن رجب «لم يطبع»ـ منظومة في أصول الفقه ـ أحكام قصر الصلاة للمسافر «لم تطبع»ـ تفسير آيات الأحكام «لم يكمل»ـ شرح عمدة الأحكام «لم يكمل»ـ تخريج أحاديث الروض المربع «لم يطبع»ـ رسالة في أن الطلاق الثلاث واحدة ولو بكلمات «لم يطبع»ـ مختارات من زاد المعاد ـ مختارات من أعلام الموقعين ـ مختارات من الطرف الحكمية ـ مجموع دروس وفتاوى الحرم المكي ـ مختارات من فتاوى الصلاة ـ الربا صوره أقسام الناس فيه ـ نبذة في العقيدة الإسلامية ـ مجموعة أسئلة في بيع وشراء الذهب ـ حكمة إرسال الرسل ـ شرح أصول الإيمان ـ الشرح الممتع على زاد المستنقع ـ المنتقى من فرائد الفوائد ـ القول المفيد شرح كتاب التوحيد ...... وغيرها الكثير.

**□ مرضه ووفاته ـ رحمه الله ـ :**

توفي الشيخ يوم الأربعاء الموافق الخامس عشر من شوال ١٤٢١هـ، بعد معاناة وصراع مع المرض الشديد والألم المرير، حتى نزل وزنه إلى ٣٨ك، وصارت درجة المناعة عنده صفراً، وكل من استمع إليه في رمضان هذا العام ـ عام وفاته ـ في الحرم يعلم ذلك، إذ كان المرض قد تمكن منه واشتد عليه أيما اشتداد.

فنسأل الله عز وجل أن يتغمده برحمته، وأن يعلي قدره ومنزلته، ويحشره مع الصالحين والشهداء.

❀❀❀❀❀❀



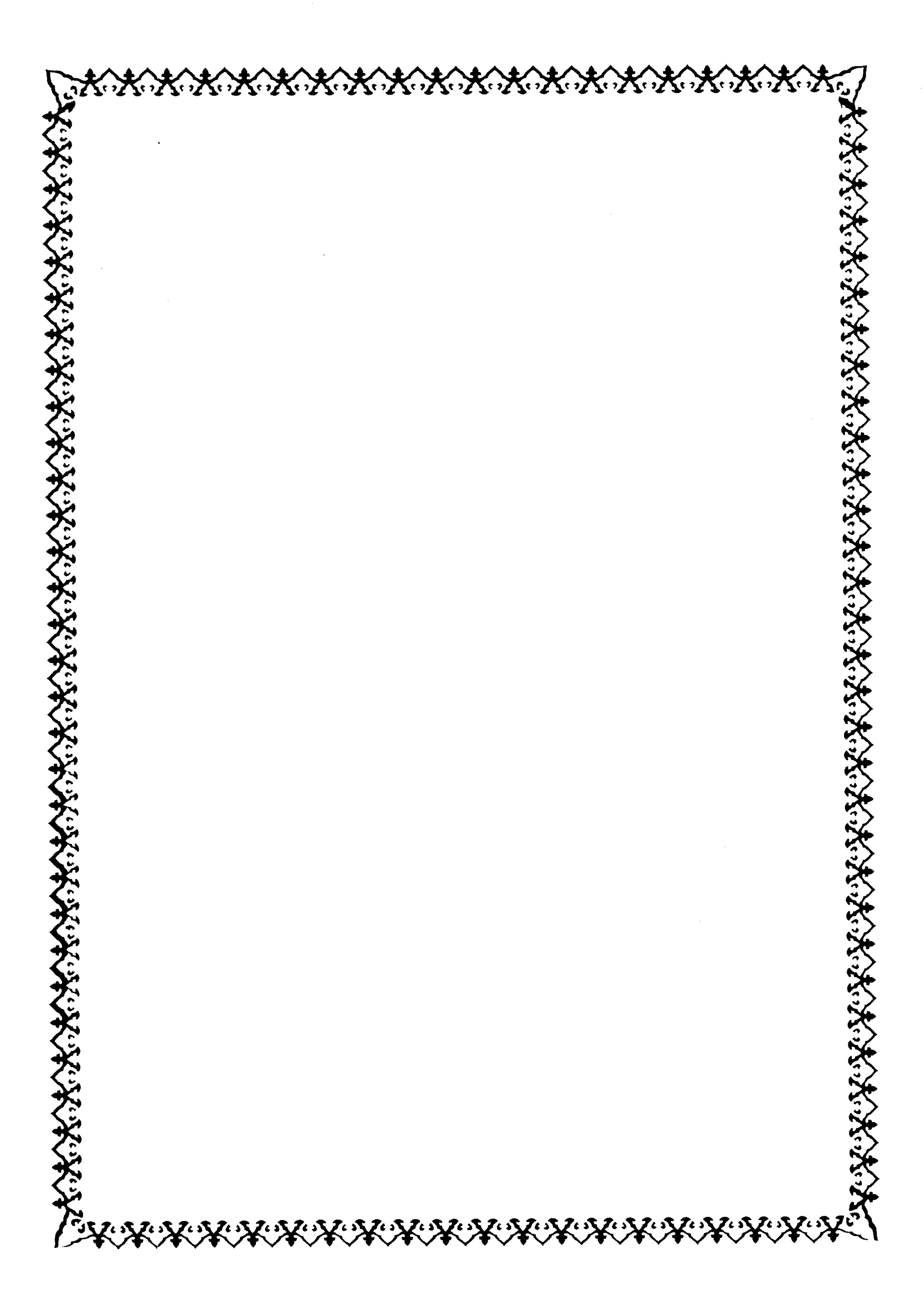
# المقــدمــة

الحمد لله نحمده ونسـتعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شـرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يـهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فـلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريـك له، وأشهد أن محـمداً عبده ورسـوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

**أمـا بعـد:**

فهذا شرح يسير على كتاب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب المسمى «كشف الشبهات» والذي أورد فيه المؤلف بضع عشرة شبهة لأهل الشرك وأجاب عنها بأحسن إجابة مدعمة بالدليل مع سهولة المعنى ووضـوح العبارة أسأل الله تعالى أن يثيبه على ذلك وأن ينفع بذلك العباد إنه على كل شيء قدير.

***محمد بن صالح العثيمين***



بسم(١) الله(٢) الرَّحْمَن(٣) الرَّحِيم(٤) ..............................

---

(١) ابتدأ المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ كتابه بالبسملة اقتداءً بكتاب الله ـ عز وجل ـ فإنه مبدوء بالبسملة، واقتداءً برسول الله ﷺ، فإنه يبدأ كتبه ورسائله بالبسملة.

والجار والمجرور متعلق بفعل محذوف مؤخر مناسب للمقام تقديره: بسم الله أكتب. وقدرناه فعلاً لأن الأصل في العمل الأفعال. وقدرناه مؤخراً لفائدتين:

**الأولى**: التبرك بالبداءة باسم الله تعالى.

**الثانية**: إفادة الحصر لأن تقديم المتعلق يفيد الحصر.

وقدرناه مناسباً لأنه أدل على المراد فلو قلنا مثلاً عندما نريد أن نقرأ كتاباً باسم الله نبتدئ ما يدرى بماذا نبتدئ، لكن بسم الله نقرأ أدل على المراد.

(٢) لفظ الجلالة علم على الباري جل وعلا وهو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء حتى إنه في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (سورة إبراهيم: ١، ٢) لا نقول إن لفظ الجلالة (الله) صفة بل نقول هي عطف بيان لئلا يكون لفظ الجلالة تبعاً تبعية النعت للمنعوت، ولهذا قال العلماء أعرف المعارف لفظ (الله) لأنه لا يدل على أحد سوى الله ـ عز وجل ـ.

(٣) الرحمن اسم من الأسماء المختصة بالله لا يطلق على غيره.

ومعناه: المتصف بالرحمة الواسعة.

(٤) الرحيم اسم يطلق على الله ـ عز وجل ـ وعلى غيره. ومعناه: ذو الرحمة الواصلة، فالرحمن ذو الرحمة الواسعة، والرحيم ذو الرحمة الواصلة، فإذا جمعا صار

**اعْلَمْ(١) رَحِمَكَ اللهُ(٢)** ...............................................

---

المراد بالرحيم الموصل رحمته إلى من يشاء من عباده كما قال تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ (سورة العنكبوت:٢١). والمراد بالرحمن الواسع الرحمة.

(١) العلم: هو «إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً». ومراتب الإدراك ست:

**الأولى**: العلم وتقدم تعريفه.

**الثانية**: الجهل البسيط وهو «عدم الإدراك بالكلية».

**الثالثة**: الجهل المركب وهو «إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه» وسمي مركباً لأنه جهلان: جهل الإنسان بالواقع، وجهله بحاله حيث ظن أنه عالم وليس بعالم.

**الرابعة**: الوهم وهو «إدراك الشيء مع احتمال ضد راجح».

**الخامسة**: الشك وهو «إدراك الشيء مع احتمال ضد مساوٍ».

**السادسة**: الظن وهو «إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح».

والعلم ينقسم إلى قسمين: ضروري ونظري:

**فالضروري**: ما يكون إدراك المعلوم فيه ضرورياً بحيث يضطر إليه من غير نظر ولا استدلال كالعلم بأن النار حارة مثلاً.

**والنظري**: ما يحتاج إلى نظر واستدلال كالعلم بوجوب النية في الوضوء.

(٢) أي أفاض الله عليك من رحمته التي تحصل بها على مطلوبك وتنجو من محذورك، فالمعنى غفر الله لك ما مضى من ذنوبك، ووفقك وعصمك فيما يستقبل منها، هذا إذا أفردت الرحمة، أما إذا قرنت بالمغفرة لما مضى من الذنوب، والرحمة

**أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ إِفْرَادُ الله ـ سُبْحَانَه ـ بالعبادة**(١) . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

التوفيق للخير والسلامة من الذنوب في المستقبل. وصنيع المؤلف ـ رحمه الله ـ يدل على شفقته وعنايته بالمخاطب.

(١) التوحيد لغة: مصدر وحَّد يوحِّد، أي جعل الشيء واحداً، وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحد، وإثباته له، لأن النفي وحده تعطيل، والإثبات وحده لا يمنع المشاركة، فمثلاً لا يتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله فينفي الألوهية عما سوى الله تعالى ويثبتها لله وحده.

وفي الاصطلاح: عرف المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ التوحيد بقوله «التوحيد هو إفراد الله ـ عز وجل ـ بالعبادة» أي أن تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئاً بل تفرده بالعبادة محبة، وتعظيماً، ورغبة، ورهبة.

ومراد الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ التوحيد الذي بعثت الرسل لتحقيقه لأنه هو الذي حصل الإخلال به والخلاف بين الرسل وأممهم.

وهناك تعريف أعم للتوحيد وهو «إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به» وأنواعه ثلاثة:

**الأول**: توحيد الربوبية وهو «إفراد الله تعالى بالخلق، والملك، والتدبير» قال الله ـ عز وجل ـ ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ (سورة الزمر:٦٢) وقال تعالى: ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**﴾ (سورة فاطر:٣)، وقال تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (سورة الملك:١). وقال تعالى: ﴿**أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ (سورة الأعراف:٥٤).

**الثاني**: توحيد الألوهية وهو «إفراد الله تعالى بالعبادة بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبده كما يعبد الله أو يتقرب إليه كما يتقرب إلى الله تعالى».

**وَهُوَ دِينُ الرُّسُلِ الَّذي أَرْسَلَهُمُ الله بِهِ إلى عِبَادِه[(١)] فَأَوَّلُهُمْ نوحُ عَلَيْهِ السَّلامُ[(٢)].**

---

الثالث: توحيد الأسماء والصفات وهو «إفراد الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته في كتابه وسنة رسوله ﷺ، وذلك بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل».

(١) مراد الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ هنا توحيد الألوهية فهو دين الرسل فكلهم أرسلوا بهذا الأصل الذي هو التوحيد كما قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ (سورة النحل:٣٦). وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ (سورة الأنبياء:٢٥). وهذا النوع هو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ، واستباح دماءهم، وأموالهم، وأرضهم وديارهم وسبي نساءهم وذريتهم.

ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات. فإفراد الله وحده بالعبادة هو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده كما قال الشيخ ـ رحمه الله ـ فها هو أول الرسل نوح عليه السلام يقول كما حكى الله عنه: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ**﴾ (سورة هود:٢٥،٢٦) وقال تعالى: ﴿**وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ**﴾ (سورة هود: ٥٠) وقال تعالى: ﴿**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ**﴾ (سورة هود،٦١). وقال تعالى: ﴿**وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ**﴾ (سورة هود: ٨٤).

(٢) هذا حق فإنه لم يبعث قبل نوح عليه الصلاة والسلام رسول وبهذا نعلم خطأ المؤرخين الذين قالوا إن إدريس عليه الصلاة والسلام كان قبل نوح لأن الله تعالى يقول: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ**﴾ (سورة النساء،١٦٣).

**أَرْسَلَهُ الله إِلى قَوْمِهِ لمَّا غَلَوْا[١]** ......................................

---

وفي الحديث الصحيح في قصة الشفاعة **«أن الناس يأتون إلى نوح فيقولون له أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض»** فلا رسول قبل نوح بإجماع العلماء.

فنوح أول الرسل بالكتاب، والسنة، والإجماع. ونوح عليه الصلاة والسلام أحد الرسل الخمسة الذين هم أولوا العزم وهم: محمد ﷺ، وإبراهيم، وموسى، ونوح، وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقد ذكرهم الله في موضعين من كتابه في سورة الأحزاب وسورة الشورى.

(١) يعني أن الله أرسل نوحاً عليه الصلاة والسلام إلى قومه لما وقع فيهم الغلو في الصالحين، وقد بوب المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتاب التوحيد على هذه المسألة فقال: «باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين».

**والغلو:** هو «جاوزة الحد في التعبد والعمل والثناء قدحاً أو مدحاً» والغلو ينقسم إلى أربعة أقسام:

**القسم الأول:** الغلو في العقيدة كغلو أهل الكلام في الصفات حتى أدى بهم إما إلى التمثيل، أو التعطيل. والوسط مذهب أهل السنة والجماعة بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

**القسم الثاني:** الغلو في العبادات كغلو الخوارج الذين يرون كفر فاعل الكبيرة، وغلو المعتزلة حيث قالوا إن فاعل الكبيرة بمنزلة بين المنزلتين وهذا التشدد قابله تساهل المرجئة حيث قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب. والوسط مذهب أهل السنة والجماعة أن فاعل المعصية ناقص الإيمان بقدر المعصية.

**في الصَّالحِين**[(١)] : **وَدّاً، وَسُوَاعاً، وَيَغُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْراً**[(٢)]. . . . . . . . . . .

---

**القسم الثالث:** الغلو في المعاملات وهو التشدد بتحريم كل شيء وقابل هذا التشدد تساهل من قال بحل كل شيء ينمي المال والاقتصاد حتى الربا والغش وغير ذلك. والوسط أن يقال تحل المعاملات المبنية على العدل وهي ما وافق ما جاءت به النصوص من الكتاب والسنة.

**القسم الرابع:** الغلو في العادات وهو التشدد في التمسك بالعادات القديمة وعدم التحول إلى ما هو خير منها. أما إن كانت العادات متساوية في المصالح فإن كون الإنسان يبقى على ما هو عليه خير من تلقي العادات الوافدة.

(١) الصالح هو الذي قام بحق الله وبحق عباد الله.

(٢) هذه أصنام في قوم نوح عليه السلام كانوا رجالاً صالحين، وقد جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى هلك أولئك ونُسي العلم عبدت».

وهذا التفسير فيه إشكال حيث يقول رضي الله عنهما «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، وظاهر القرآن أنها قبل نوح قال الله تعالى: ﴿**قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾ (سورة نوح،٢١-٢٣) فظاهر الآية أن قوم نوح كانوا يعبدونهم وأنه نهاهم عن ذلك.

فسياق الآية يدل على ما ذكره ابن عباس إلا أن ظاهر السياق أن هؤلاء القوم الصالحين كانوا قبل نوح عليه السلام والله أعلم.

**وآخرُ الرُّسُلِ مُحَمَّدٌ ﷺ[١] ، وَهُوَ كَسَّرَ صُوَرَ هؤلاء الصَّالحين[٢] أَرْسَلَهُ الله إلى أُنَاس يَتَعَبَّدُون وَيَحُجّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَيذكُرُونَ الله كَثيراً[٣] ولَكنَّهُم يَجْعَلُونَ بَعْض المَخْلُوقَات وَسَائط بَيْنَهم وبَيْن الله، يَقُولون نُرِيدُ منْهُمُ التَّقَرُّبَ إلى الله ونُرِيدُ شَفَاعَتَهُم**

---

(١) دليل ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (سورة الأحزاب: ٤٠). فلا نبي بعد النبي محمد ﷺ.

فإن قيل: إن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ينزل آخر الزمان وهو رسول. فنقول: هذا حق ولكنه لا ينزل على أنه رسول مجدد، بل ينزل على أنه حاكم بشريعة النبي محمد عليه الصلاة والسلام لأن الواجب على عيسى وعلى غيره من الأنبياء الإيمان بمحمد ﷺ، واتباعه ونصره كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ٨١). وهذا الرسول المصدق لما معهم هو محمد ﷺ، كما صح ذلك عن الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما، وغيره.

(٢) أي أن النبي ﷺ، كسر صور الأصنام وذلك يوم الفتح حين دخل الكعبة فوجد حولها وفيها ثلثمائة وستين صنماً وجعل يطعنها عليه الصلاة والسلام بالحربة وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (سورة الإسراء: ٨١).

(٣) أي أن الله بعث رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام إلى قوم يتعبدون لكنها عبادة باطلة ما أنزل بها من سلطان، ويتصدقون ويفعلون كثيراً من أمور الخير لكنها لا تنفعهم، لأنهم كفار، ومن شرط التقرب إلى الله تعالى أن يكون المتقرب إلى الله مسلماً وهؤلاء غير مسلمين.

عنده مثل الملائكة، وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين(١). فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله تعالى لا يصلح منه شيء لغير الله، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما(٢). . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

(١) أي أنهم إنما يعبدون هذه الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى فهم مقرون بأنها دون الله، وأنها لا تملك لهم نفعاً ولا ضراً، وأنهم شفعاء لهم عند الله ـ عز وجل ـ، ولكن هذه الشفاعة شفاعة باطلة لا تنفع أصحابها لأن الله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (سورة المدثر:٤٨). وذلك لأن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد، فتعلق المشركين بآلهتهم يعبدونها ويقولون: ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ (سورة يونس:١٨) تعلق باطل غير نافع بل هذا لا يزيدهم من الله تعالى إلا بعداً، وعلى أن المشركين يرجون شفاعة أصنامهم بوسيلة باطلة وهي عبادة الأصنام، وهذا من جهلهم وسفههم أن يحاولوا التقرب إلى الله تعالى بما لا يزيدهم منه إلا بعداً.

(٢) يقول المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ إنهم مازالوا على هذا الكفر وهو عبادة هذه الأصنام لتقربهم بزعمهم إلى الله تعالى حتى بعث الله رسوله وخاتم أنبيائه محمداً ﷺ بعثه الله تعالى بالتوحيد الخالص يدعو الناس إلى عبادة الله وحده ويحذرهم من الشرك قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (سورة المائدة:٧٢) ويبين لهم أن العبادة حق لله وحده، وأنه لا يجوز صرف شيء منها لغيره سبحانه وتعالى لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما فقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (سورة يس: ٦٠، ٦١).

**وإلاَّ فهؤلاء المُشْركُون يَشْهَدُونَ أنَّ الله هُوَ الخالقُ وَحْده لا شريك له، وأنَّه لا يرزُقُ إلاَّ هو، ولا يُحيي ولا يُميتُ إلا هُوَ، ولا يُدبِّرُ الأمْرَ إلا هو، وأنَّ جميع السَّموات ومَنْ فيهنَّ، والأرَضين السَّبع ومنْ فيهنَّ؛ كُلُّهُمْ عَبيده وتَحْت تصَرُّفه وقَهْره[1].**

---

وقوله: **(يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم)** كأنه يشير إلى قوله تعالى: **﴿ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** (سورة النحل:١٢٣).

وقوله: **(محض حق الله)** أي خالص حقه.

(١) يقول ـ رحمه الله تعالى ـ إن هؤلاء المشركين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ يقرون بأن الله وحده هو الخالق، وأنه هو الذي خلق السماوات والأرض، وأنه هو الذي خلقهم، وأنه هو المدبر للأمور كما ذكر الله عنهم في آيات عديدة من القرآن الكريم قال الله تعالى: **﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾** (سورة الزخرف:٩). وقال تعالى: **﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾** (سورة الزخرف:٨٧). والآيات في هذا المعنى كثيرة، لكن هذا لا ينفعهم؛ لأن هذا إقرار بالربوبية فقط، ولا ينفع الإقرار بالربوبية حتى يكون معه الإقرار بالألوهية وعبادة الله وحده. واعلم أن الإقرار بالربوبية يستلزم الإقرار بالألوهية، وأن الإقرار بالألوهية متضمن الإقرار بالربوبية.

**أما الأول:** فهو دليل ملزم أي أن الإقرار دليل ملزم لمن أقر به أن يقر بالألوهية لأنه إذا كان الله وحده هو الخالق وهو المدبر للأمور وهو الذي بيده ملكوت كل شيء فالواجب أن تكون العبادة له وحده لا لغيره.

**والثاني:** متضمن للأول يعني أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية لأنه لا يتأله إلا للرب ـ عز وجل ـ الذي يعتقد أنه هو الخالق وحده وهو المدبر لجميع الأمور سبحانه وتعالى.

**فَإِذَا أَرَدْت الدَّليل على أنَّ هؤلاء الَّذينَ قَاتَلهُم رسُول الله، ﷺ، يَشْهَدُون بهذا[١] فَاقْرأ قـوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾[٢]** (سورة يونس:٣١).

**وَقَوْلَهُ: ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ[٣] وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾** (سورة المؤمنون:٨٤-٨٩). **وغَيْرَ ذَلك من الآيات.**

---

(١) ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ هنا دليل ما قرر أن هؤلاء يقرون بتوحيد الربوبية، ولكنه أتى به على سبيل السؤال والجواب ليكون هذا أمكن وأثبت وأتم في الاستدلال فقال: «فإذا أردت الدليل . . . فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ (سورة يونس: ٣١).

(٢) ﴿فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ (سورة يونس: ٣١) يعني إذا كنتم تقرون بهذا أفلا تتقون الله الذي أقررتم له بتمام الملك وتمام التدبير وأنه وحده الخالق الرازق المالك للسمع والأبصار، المخرج للحي من الميت، وللميت من الحي المدبر لجميع الأمور، وهذا الاستفهام للتوبيخ والإلزام، أي أنكم إذا أقررتم بذلك لزمكم أن تتقوا الله وتعبدوه وحده لا شريك له.

(٣) وقوله يعني واقرأ قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا﴾ إلى آخر الآيات وهذه الآيات مما يدل على أن المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ يقرون بتوحيد الربوبية فإنهم يقرون بأن الأرض ومن فيها لله لا شريك له، ويقرون بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض، وأنه رب العرش العظيم، ويقرون بأن بيده ملكوت كل

**فَإِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّهُمْ(١) مُقِرُّونَ بِهَذَا(٢) وَلَم يُدْخِلْهُم في التَّوحِيد الذي دَعَاهُمْ إليه رَسُول الله ﷺ(٣) وَعَرَفْتَ أنَّ التَوْحيد الذي جَحَدُوه هُو تَوْحيد العِبَادةِ الذي يُسَمِّيه المشرِكُونَ في زَمَانِنَا: «الاعْتِقَاد»(٤)، كَمَا كَانُوا يَدْعُونَ الله سُبْحَانَهُ لَيْلاً ونَهَاراً.**

---

شيء، وأنه هو الذي يجير ولا يجار عليه، وكل هذا ملزم لهم بأن يعبدوا الله وحده ويفردوه بالعبادة، ولهذا جاء توبيخهم بصيغة الاستفهام في ختام كل آية من الآيات الثلاث. والآيات الدالة على أن المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ يقرون بتوحيد الربوبية كثيرة.

(١) أي الذي بعث فيهم رسول الله ﷺ من المشركين.

(٢) يعني توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله وحده هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور.

(٣) أي أن إيمانهم بأن الله هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور لم يدخلهم في توحيد العبادة الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولم يعصم دماءهم وأموالهم.

(٤) أي إذا عرفت أن الذي أنكروه هو توحيد العبادة الذي يسميه كما قال الشيخ ـ رحمه الله ـ مشركوا زماننا «الاعتقاد» تبين لك أن هذا الذي أقروا به لا يكفي في التوحيد بل ولا يكفي في الإسلام كله فإن من لم يقر بتوحيد العبادة فإنه ليس بمسلم حتى ولو أقر بتوحيد الربوبية ولهذا قاتل النبي ﷺ المشركين مع أنهم يقرون بتوحيد الربوبية كما تقدم.

ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الملائكة لأجْلِ صَلاحِهِمْ وقُرْبِهِم من الله لِيَشْفَعُوا لَهُ، أَوْ يَدْعُو رَجُلاً صَالِحاً مِثْل: اللات، أَوْ نَبِياً مِثْل عيسَى[1].

وعَرَفْتَ[2] أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَاتَلَهُمْ على هذا الشِّرْكِ[3] ودَعَاهُمْ إلى إخْلاص

---

(١) يعني أن هؤلاء المشركين في عبادة الله كانوا يدعون الله تعالى إذا اضطروا إلى ذلك، ومنهم من يدعو الملائكة لقربهم من الله ـ عز وجل ـ، ويزعمون أن من قرب من الله سبحانه وتعالى فهو مستحق للعبادة وهذا من جهلهم فإن العبادة حق الله وحده لا يشركه فيها أحد.

وأن منهم من يدعو اللات، واللات بالتشديد اسم فاعل من اللت، وأصله رجل كان يلت السويق للحجاج، أي يجعل فيه السمن ويطعمه الحجاج فلما مات عكفوا على قبره ثم عبدوه، وأن منهم من يعبد المسيح عليه السلام لكونه آية من آيات الله، وأن منهم من يعبد الأولياء لقربهم من الله سبحانه وتعالى، وكل هذا من تزيين الشيطان لهم أعمالهم التي ضلوا بها عن الصراط المستقيم قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (سورة الكهف:١٠٣-١٠٥).

(٢) هذه معطوفة على قوله «فإذا تحققت».

(٣) أي الشرك في العبادة حيث كانوا يعبدون غير الله معه وليس المراد الشرك في الربوبية؛ لأن المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ كانوا يؤمنون بأن الله وحده هو الرب وأنه مجيب دعوة المضطرين وأنه هو الذي يكشف السوء إلى غير ذلك مما ذكر الله عنهم من إقرارهم بربوبية الله ـ عز وجل ـ وحده.

فالنبي ﷺ قاتل هؤلاء المشركين الذين لم يقروا بتوحيد العبادة بل استحل دماءهم وأموالهم وإن كانوا يقرون بأن الله وحده هو الخالق لأنهم لم يعبدوه ولم يخلصوا له العبادة.

العبَادَة لله وَحْدَهُ[١] كمـا قال الله تعالى: ﴿فَلا تَدْعُـو مَع اللَّه أَحَداً﴾ وكما قـال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِ وَالَّذين يَدْعُونَ من دُونه لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾[٢] (سورة الرعد: ١٤).

وتَحَقَّقْت[٣] أنَّ رَسُولَ الله، ﷺ، قَاتَلَهُمْ لِيكُون الدُّعَاءُ كُلُّهُ لله[٤].

---

(١) الإخلاص لله مـعناه: «أن يقصـد المرء بعبادتـه التقرب إلى الله سبحـانه وتعالى والوصول إلى دار كرامته».

(٢) يعني أن هذه الأصنام التي يدعونها من دون الله لا تستـجيب لهم بشيء كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مـمَّن يَدْعُو من دُون اللَّه مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (سورة الأحقاف: ٥).

(٣) قوله: (وتحققت) معطوف على قوله فإذا تحققت.

(٤) الدعاء على نوعين:

**الأول:** دعاء عبادة بأن يتعبد للمدعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه، وهذا لا يصح لغيـر الله وصرفه لغيـر الله شرك أكبر مـخرج عن الملة، وعليه يقع الوعيـد في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (سورة النمل: ٨٧).

**النوع الثاني:** دعاء المسـألة وهـو دعـاء الطلب أي طلب الحاجـات وينقـسـم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: دعاء الله سـبحانه وتعالى بما لا يقـدر عليه إلا هو عبـادة لله تعالى لأنه يتضمن الافتقار إلى الله تعالى واللجوء إليه، واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة، فمن دعا غير الله ـ عز وجل ـ بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواءً كان المدعو حياً أو ميتاً.

**والذَّبحُ كُلُّه لله**[1] **، والنَّذْرُ كُلُّهُ لله**[2] **،** . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

القسم الثـاني: دعاء الحي بما يقدر عليه مثل يا فلان اسقني فلا شيء فيه.

القسم الثالث: دعاء الميت أو الغائب بمثل هذا فـإنه شرك لأن الميت أو الغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتـقد أن له تصرفاً في الكون فيكون بذلك مشركاً.

(١) الذبح: «إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص». ويقع على وجوه:

**الأول:** أن يقصـد به تعظيم المذبوح له والتذليل له والتقـرب إليه فهذا عـبادة لا يكون إلا لله تعالى على الوجـه الذي شرعه الله تعالى، وصـرفه لغير الله شـرك أكبر لقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ**﴾ (سورة الأنعام: ١٦٢).

**الثاني:** أن يقصد به إكرام الضيف، أو وليمة لعرس ونحو ذلك فهذا مأمور به إما وجوباً أو استحباباً لقوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخـر فليكرم ضيفه**» . وقوله لعبد الرحمن بن عوف حين تزوج: «**أولم ولو بشاة**» .

**الثالث:** أن يقصد به التمتع بالأكل أو الاتجار بـه ونحو ذلك فهذا من قسم المباح فالأصل فيه الإباحة لقوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ**﴾ (سوة يس: ٧١، ٧٢). وقد يكون مطلوباً أو منهياً عنه حسبما يكون وسيلة له.

(٢) النذر يطلق على العبادات المفروضـة عموماً، ويطلق على النذر الخاص وهو إلزام الإنسان نفسه بشيء لله عز وجل والمراد به هنا الأول فـالعبادات كلها لله تعالى: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**﴾ (سورة الإسراء: ٢٣).

والاسْتـغاثَةُ كُلُّهَـا بالله(١) وَجَمِـيعُ أنواع العبَـادَات كُلُّها لله، وعَـرَفْت(٢) أنَّ إقْرَارَهُمْ بتَوْحيدِ الربُوبيَّة لمْ يُدْخِلْهُم في الإسْلام.

---

(١) الاستغاثة: طلب الغوث والإنقاذ من الشدة والهلاك. وهو أقسام:

الأول: الاستـغـاثة بالله عز وجل وهذا من أفـضل الأعمـال وأكملهـا وهو دأب الرسل عليهـم الصلاة والسلام وأتبـاعهم ودليله قـوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (سورة الأنفال: ٩).

الثاني: الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غيـر الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك، لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفـاً خفياً في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية، قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة النمل: ٦٢).

الثالث: الاستغاثة بالأحـياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كـالاستعانة بهم، قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ (سورة القصص: ١٥).

الرابع: الاستـغاثة بحي غـير قادر من غـير أن يعتـقد أن له قـوة خفيـة مثل أن يستغيث بمشلول على دفع عدو صائل. فهذا لغـو وسخرية بالمستغاث به، فيمنع لهذه العلة ولعلة أخـرى وهي أنه ربما اغتر بذلك غـيره فتـوهم أن لهذا المستـغاث به وهو عاجز أن له قوة خفية ينقذ بها من الشدة.

(٢) قوله «وعرفت»: معطوف على «تحققت» الأولى.

وقوله «عرفت»: جواب «فإذا تحققت» وما عطف عليها.

وأنَّ قَصْدَهُمُ الملائكة، والأنبياء، والأولياء يُريدُون شَفَاعَتَهُمْ والتَقرُّبَ إلى الله بذلك هو الذي أحلَّ دماءَهُمْ وأموالَهم، عَرَفْت حينئذ التَّوحيدَ الذي دَعَتْ إليه الرُّسُل وأبى عن الإقرار به المُشْركُون[١].

وَهَذَا التَّوحِيد هُوَ مَعْنَى قَولك: «لا إله إلاَّ الله»[٢] فَإنَّ الإله عنْدَهُمْ هُو الذي يُقْصَدُ لأجْلِ هَذه الأمُور سَوَاءً كَانَ مَلَكاً، أو نَبِياً، أوْ وَلياً، أو شَجَرَةً، أو قَبْراً، أو جنيّاً لَمْ يَريدُوا أنَّ الإله هُوَ الخالقُ الرَّازقُ المُدبِّرُ فإنَّهُمْ يَعْلَمُون أنَّ ذلك لله وَحْدَهُ كما قدَّمْتُ

---

(١) قرر المؤلف ـ رحمه الله ـ أن التوحيد الذي جاءت به الرسل من الله هو توحيد الألوهية لأن هؤلاء المشركين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ومع هذا استباح النبي ﷺ دماءهم وأموالهم على أنهم يعبدون الملائكة وغيرهم مما يعبدونهم من الأولياء والصالحين يريدون بذلك أن يقربوهم إلى الله وهي كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ (سورة الزمر:٣) فهم مقرون بأن الله هو المقصود ولكنهم يقصدون الملائكة وغيرهم ليقربوهم إلى الله ومع ذلك لم يدخلهم في التوحيد.

(٢) قوله: «**وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله**» أي أن التوحيد الذي دعا إليه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو معنى (لا إله إلا الله) أي: لا معبود حق إلا الله ـ عز وجل ـ فهم يعلمون أن معناها لا معبود حق إلا الله عز وجل، وليس معناها لا خالق، أو رازق، أو لا مدبر إلا الله، أو لا قادر على الاختراع إلا الله كما يقوله كثير من المتكلمين فإن هذا المعنى لا ينكره المشركون ولا يردونه، وإنما يردون معنى «لا إله إلا الله» أي لا معبود حق إلا الله كما قال تعالى عنهم: ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ ﴾ (سورة ص:٥-٧).

لَكَ، وإنَّما يَعنُون بالإله ما يَعْني المُشْـركُون في زَمَانِنَا بِـلَفْظِ (السيِّد) فَـأتاهُمُ النَّبي ﷺ يَدْعُوهُمْ إلى كَلمة التَّوْحيد وهي « لا إله إلا الله »[1].

والمُرَاد منْ هَذه الكَلِمَة مَعْنَاها لا مُجَرَّدُ لفظها[2] والكُفَّارُ الجهَّالُ يَعْلَمُون أن مُرَاد النَّبي ﷺ بهَذه الكَلمَـة هُو إفْـرَادُ الله تعالى بالتَّـعلُّق به، والكُفْـرُ بما يُعْبَـدُ منْ دُون الله والبراءة منْهُ فَإنَّه لَّما قَـال لَهُمْ قُولُوا: «لا إله إلا الله» قَالُوا: ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[3] (سورة ص:٥).

فَإذا عَرَفْت أنَّ جُهَّال الكُفَّار يَعْرفُون ذلك[4] فَالعَجَبُ ممَّنْ يَدَّعي الإسْلام وَهُو لا يَعْرِفُ منْ تَفْسير هذه الـكَلِمة ما عَـرَفَهُ جُهَّـال الكُفَّار[5] بلْ يَظُنُّ أنَّ ذلكَ هُو التَّلَفظُ

---

(١) يريد رحمة الله بيان أن المشـركين لا يريدون بقول لا إله إلا الله أي لا مدبر ولا خالق إلا الله، لأنهم يعرفون أن ذلك حق وإنما ينكرون مـعناها لا معبود حق إلا الله، وهذا الذي بدأ به المؤلف وأعـاد إنما قاله للتـأكيد والرد على من يـقول: إننا لا نعـبد الملائكة أو غـيرهم إلا من أجل أن يقـربونا إلى الله زلفى، ولسنا نعـتقـد أنهم يخلقون أو يرزقون.

(٢) قوله: «من هذه الكلمة» أي قول: (لا إله إلا الله).

(٣) هذه الجملة كـالتي قبلها يبين فـيها ـ رحمـه الله ـ أن معنى لا إله إلا الله لا معـبود حق إلا الله، وأن المشركين قـد فهمـوا هذا منها، وعلمـوا أنه ليس المراد بها مجرد لفظها، وأن المراد بها لا مـعبود حق إلا الله، ولهذا أنكروه مع أنهم لا ينكرون أن الله وحده هو الخالق الرازق.

(٤) أي يعرفون أن معنى لا إله إلا الله، لا معبود حق إلا الله.

(٥) يريد المؤلف ـ رحـمـه الله ـ أن يبين أن مـن الناس من يدعي الإسـلام ولا يعرفون معنى كلمة «لا إله إلا الله» حيث يظـنون أن المقصود هو التلفظ بحروفها دون معرفة معناها واعتقاده.

بحُروفهـا من غَيْر اعْتـقَاد القَلْب لشيء من المَعَاني، والحَـاذقُ منْهُمْ يَظُنُ أنَّ مَعنَاها «لا يَخْلُقُ ولا يَرْزُقُ ولا يُدَبِّرُ الأمـر إلا الله» فـلا خَـيْـر في رَجُل جُـهَّـال الكُفَّـارِ أعْلَمُ منه بمَعْنى «لا إله إلا الله».

إذَا عَرَفْتَ ما ذَكَرت لك مَعْرفَة قَلْب(١)، وَعَرَفْتَ الشِّرْكَ بالله الَّذي قَال فيه: ﴿إنَّ اللَّهَ لا يَغْفرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾(٢) (سورة النساء:٤٨). وَعَرَفْتَ دينَ

---

ومن الناس من يفسـرها بأن المراد بها «إخراج اليقين الصـادق عن ذات الأشياء، وإدخال اليقين الصادق على ذات الله» وهذا التفسـير باطل لم يعرفه السلف الصالح، وليس المراد به أن تتيـقن بالله ـ عز وجل ـ وتخرج اليقين من غـيره لأن هذا لا يمكن فإن اليـقين ثابت في غـير الله ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ (سورة التكاثر:٦، ٧). وتيقن الأشياء الواقعة الحسية المعلومة لا ينافي التوحيد.

ومن الناس من يفسرها بأنه «لا معبود إلا الله» وهذا التعريف لا يصح على ظاهره لأن هناك أشياء عبدت من دون الله ـ عز وجل ـ. فيكون هؤلاء أجهل من الجهال الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ، فإنهم كانوا يعرفون من معناها ما لا يعرفه هؤلاء.

(١) أي عرفت معنى لا إله إلا الله الحقيقي وأن معناها «لا معبود حق إلا الله».

(٢) اختلف أهل العلم ـ رحمهم الله تعالى ـ في هذه الآية هل تشمل كل الشرك أم أنها خاصة بالشرك الأكبر.

فمنهم من قال: تشمل كل شرك ولو كان أصغر كالحلف بغير الله فإن الله لا يغفره. ومنهم من قال: إنهـا خاصة بالشرك الأكبـر فهو الذي لا يغفـره الله. وشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ اختلف كلامه فمرة قال بالقول الأول، ومرة قال بالقول الثاني.

وعلى كل حـال يجب الحذر من الشـرك مطلقاً، لأن العـموم يحتـمل أن يكون داخلاً فـيه الأصغـر لأن قوله: ﴿أن يشرك به﴾ ﴿أن﴾ وما بعدها فـي تأويل مصدر تقديره «إشراكاً به» فهو نكرة في سياق النفي فتفيد العموم.

الله الَّذي أرْسَل به الرُّسُل منْ أوَّلهم إلى آخرهمْ الذي لا يَقْبَلُ الله من أحَد ديناً سوَاه(١) وَعَرَفْتَ ما أصْبَحَ غَالبُ النَّاس فيه منْ الجَهْل بهَذا(٢).

أَفَادَكَ(٣) فَائدَتَيْن(٤) : الأولى الفَرَحُ بفَضْل الله ورَحْمَته كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ بفَضْلِ اللَّه وَبرَحْمَته فَبذَلكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (سورة يونس:٥٨). وَأَفَادَكَ أَيْضاً الخَوْفَ العَظيمَ(٥).

---

(١) وهو عبادة الله وحده كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلكَ من رَّسُول إلاَّ نُوحي إلَيْه أَنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون ﴾ (سورة الأنبياء:٢٥). وهذا هو الإسلام الذي قال الله فيه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلام دينًا فَلَن يُقْبَلَ منْهُ ﴾ (سورة آل عمران:٨٥).

(٢) أي بمعنى هذه الكلمة مما تقدم ذكره عند قول المؤلف رحمه الله «فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة . . . الخ».

(٣) قوله «أفادك» جواب قوله: «إذا عرفت ما ذكرت لك . . إلخ».

(٤) يحصل ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن الله تعالى فتح عليك حتى عرفت المعنى الصحيح لهذه الكلمة العظيمة «لا إله إلا الله». وهذا فضل عظيم من الله ورحمة، والفرح بمثل هذا مما أمر الله به ودليله ما ذكره المؤلف رحمه الله: ﴿ قُلْ بفَضْلِ اللَّه وَبرَحْمَته فَبذَلكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ وفرح العبد بما أنعم الله عليه من العلم والعبادة من الأمور المحمودة كما جاء في الحديث: «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه» .

(٥) أي من أن تقع في مثل ما وقع فيه هؤلاء من الجهل بمعناها والخطر العظيم في ذلك.

فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْت أنَّ الإِنسان يَكْفُرُ بِكَلِمة يُخْرِجُها مِنْ لِسَانِه وَقَدْ يَقُولُها وَهُوَ جَاهِلٌ فلا يُعْذَرُ بالجهْل(١).

---

(١) تعليقنا على هذه الجملة من كلام المؤلف ـ رحمه الله ـ:

**أولاً**: لا أظن الشيخ ـ رحمه الله ـ لا يرى العذر بالجهل اللهم إلا أن يكون منه تفريط بترك التعلم مثل أن يسمع بالحق فلا يلتفت إليه ولا يتعلم، فهذا لا يعذر بالجهل وإنما لا أظن ذلك من الشيخ لأن له كلاماً آخر يدل على العذر بالجهل فقد سئل ـ رحمه الله تعالى ـ عما يقاتل عليه؟ وعما يكفر الرجل به؟ فأجاب: أركان الإسلام الخمسة، أولها الشهادتان، ثم الأركان الأربعة؛ فالأربعة: إذا أقر بها، وتركها تهاوناً، فنحن وإن قاتلناه على فعلها، فلا نكفره بتركها؛ والعلماء: اختلفوا في كفر التارك لها كسلاً من غير جحود؛ ولا نكفر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو: الشهادتان.

**وأيضاً**: نكفره بعد التعريف إذا عرف وأنكر، فنقول: أعداؤنا معنا على أنواع:

**النوع الأول**: من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله، الذي أظهرناه للناس؛ وأقر أيضاً: أن هذه الاعتقادات في الحجر، والشجر، والبشر، الذي هو دين غالب الناس: أنه الشرك بالله، الذي بعث الله رسوله ﷺ ينهى عنه، ويقاتل أهله، ليكون الدين كله لله، ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد، ولا تعلمه، ولا دخل فيه، ولا ترك الشرك، فهو كافر، نقاتله بكفره، لأنه عرف دين الرسول، فلم يتبعه، وعرف الشرك فلم يتركه، مع أنه لا يبغض دين الرسول، ولا من دخل فيه، ولا يمدح الشرك، ولا يزينه للناس.

**النوع الثاني**: من عرف ذلك، ولكنه تبين في سب دين الرسول، مع ادعائه أنه عامل به، وتبين في مدح من عبد يوسف، والأشقر، ومن عبد أبا علي، والخضر من

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

أهل الكويت، وفضلهم على من وحَّد الله، وترك الشرك، فهذا أعظم من الأول، وفيه قوله تعالي: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة:٨٩) وهو ممن قال الله فيه: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ (سورة التوبة:١٢).

**النوع الثالث:** من عرف التوحيد، وأحبه، واتبعه، وعرف الشرك، وتركه، ولكن يكره من دخل في التوحيد، ويحب من بقي على الشرك، فهذا أيضاً كافر، فيه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (سورة محمد:٩).

**النوع الرابع:** من سلم من هذا كله، ولكن أهل بلده يصرحون بعداوة أهل التوحيد، واتباع أهل الشرك، وساعين في قتالهم، ويتعذر بأن ترك وطنه يشق عليه، فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده، ويجاهد بماله، ونفسه، فهذا أيضاً كافر؛ فإنهم لو يأمرونه بترك صوم رمضان، ولا يمكنه الصيام إلا بفراقهم فعل؛ ولو يأمرونه بتزوج إمرأة أبيه ولا يمكنه ذلك إلا بفراقهم فعل؛ وموافقتهم على الجهاد معهم بنفسه وماله، مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله أكبر من ذلك بكثير، كثير؛ فهذا أيضاً كافر، وهو ممن قال الله فيهم: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ إلى قوله ـ : ﴿سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ (سورة النساء:٩١) فهذا الذي نقول.

وأما الكذب والبهتان فمثل قولهم: إنَّا نُكَفِّر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنَّا نُكَفِّر من لم يُكَفِّر، ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه؛ فكل هذا من الكذب والبهتان، الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله.

**وإذا كنا:** لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نُكَفِّر من لم

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

يشرك بالله إذا لم يهاجـر إلينا، أو لم يكفر ويقاتل؟! ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة النور:١٦).

بل نُكَفِّر تلك الأنواع الأربعة، لأجل محادتهم لله ورسوله، فرحم الله امرءاً نظر نفسه، وعـرف أنه ملاق الله، الذي عنده الجنة والنار؛ وصلى الله على محـمد وآله، وصحبه، وسلم.

**تتمـة:**

الاختلاف في مسـألة العذر بالجهل كغيره من الاخـتلافات الفقهيـة الاجتهادية، وربما يكون اخـتلافاً لفظيـاً في بعض الأحيـان من أجل تطبيق الحكم علـى الشخص المعين، أي أن الجمـيع يتفقون على أن هذا القـول كفر، أو هذا الفعل كـفر، أو هذا الترك كفر، ولكن هل يصدق الحكم على هذا الشخص المعين لـقيام المقتضى في حقه وانتفاء المانع أو لا ينطبق لفوات بعض المقـتضيات، أو وجود بعض الموانع. وذلك أن الجهل بالمكفِّر على نوعين:

**الأول:** أن يكون من شخص يدين بغير الإسلام أو لا يدين بشيء ولم يكن يخطر بباله أن ديناً يخـالف ما هو عليه فهـذا تجري عليه أحكام الظاهر في الدنيـا، وأما في الآخرة فأمره إلى الله ـ تعالى ـ والقول الراجح أنه يمتحن في الآخرة بما يشاء الله ـ عز وجل ـ والله أعلم بما كانوا عاملين، لكـننا نعـلم أنه لم يدخل النار إلا بذنب لقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (سورة الكهف:٤٩).

وإنما قلنا تجـري عليـه أحكام الظاهر في الدنيا وهي أحكام الكـفر؛ لأنه لا يدين بالإسلام فـلا يمكن أن يعطى حكمـه، وإنما قلنـا بأن الراجـح أنه يمتحـن في الآخرة لأنه جاء في ذلك آثـار كثيـرة ذكرهـا ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابـه «طريـق

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

الهجرتين» عند كلامه على المذهب الثامن في أطفال المشركين تحت الكلام على الطبقة الرابعة عشرة.

**النوع الثاني**: أن يكون من شخص يدين بالإسلام ولكنه عاش على هذا المكفِّر ولم يكن يخطر بباله أنه مخالف للإسلام، ولا نبهه أحد على ذلك فهذا تجري عليه أحكام الإسلام ظاهراً، أما في الآخرة فأمره إلى الله ـ عز وجل ـ وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وأقوال أهل العلم:

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ (سورة الإسراء: ١٥) وقوله: ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ** ﴾ (سورة القصص: ٥٩) وقوله: ﴿ **رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾ (سورة النساء: ١٦٥). وقوله: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ** ﴾ (سورة إبراهيم: ٤). وقوله: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ** ﴾ (سورة التوبة: ١١٥) وقوله: ﴿ **وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ** ﴾ (سورة الأنعام: ١٥٥-١٥٧) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الحجة لا تقوم إلا بعد العلم والبيان.

**وأما السنة**: ففي صحيح مسلم (١/ ١٣٤) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة** ـ يعني أمة

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

الدعوة - يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» .

**وأما كلام أهل العلم:** فقال في المغني (٨/ ١٣١) «فإن كان ممن لا يعرف الوجوب كحديث الإسلام، والناشيء بغير دار الإسلام، أو بادية بعيدة عن الأمصار وأهل العلم لم يحكم بكفره». وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي (٣/ ٢٢٩) مجموع ابن قاسم: «إني دائماً - ومن جالسني يعلم ذلك مني - من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وأني أقرر أن الله - تعالى - قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية، ومازال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد بكفر، ولا بفسق، ولا بمعصية - إلى أن قال - وكنت أبين أن ما نقل عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضاً حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين - إلى أن قال - والتكفير هو من الوعيد فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول ﷺ لكن الرجل قد يكون حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً» أ. هـ.

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (١/ ٥٦) من الدرر السنية: «وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول، ثم بعدما عرفه سبه، ونهى الناس عنه، وعادى من فعله فهذا هو الذي أكفره». وفي (ص٦٦): «وأما الكذب والبهتان فقولهم

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

إنا نُكَفِّر بالعموم ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نُكَفِّر من عبد الصنم الذي على عبد القادر، والصنم الذي على أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نُكَفِّر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا أو لم يكفر ويقاتل» ا. هـ.

وإذا كان هذا مقتضى نصوص الكتاب، والسنة، وكلام أهل العلم فهو مقتضى حكمة الله ـ تعالى ـ، ولطفه، ورأفته، فلن يعذب أحداً حتى يعذر إليه، والعقول لا تستقل بمعرفة ما يجب لله ـ تعالى ـ من الحقوق، ولو كانت تستقل بذلك لم تتوقف الحجة على إرسال الرسل.

فالأصل فيمن ينتسب للإسلام بقاء إسلامه حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي، ولا يجوز التساهل في تكفيره لأن في ذلك محذورين عظيمين:

**أحدهما:** افتراء الكذب على الله ـ تعالى ـ في الحكم، وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به.

أما الأول فواضح حيث حكم بالكفر على من لم يكفره الله ـ تعال ـ فهو كمن حرم ما أحل الله؛ لأن الحكم بالتكفير أو عدمه إلى الله وحده كالحكم بالتحريم أو عدمه.

وأما **الثاني:** فلأنه وصف المسلم بوصف مضاد، فقال: إنه كافر، مع أنه بريء من ذلك، وحري به أن يعود وصف الكفر عليه لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما»**. وفي رواية **«إن كان كما قال وإلا رجعت عليه»**. وله من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

قال: «**ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه**» يعني رجع في حكم الله ـ تعالى ـ وكذلك قوله في حديث أبي ذر: «**وليس كذلك**» يعني في حكم الله ـ تعالى ـ.

وهذا هو المحذور الثاني ـ أعني عود وصف الكفر عليه إن كان أخوه بريئاً منه ـ وهو محذور عظيم يوشك أن يقع به؛ لأن الغالب أن من تسرع بوصف المسلم بالكفر كان معجباً بعمله محتقراً لغيره فيكون جامعاً بين الإعجاب بعمله الذي قد يؤدي إلى حبوطه، وبين الكبر الموجب لعذاب الله ـ تعالى ـ في النار كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**قال الله عز وجل الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار**» .

فالواجب قبل الحكم بالتكفير أن ينظر في أمرين:

**الأمر الأول**: دلالة الكتاب، والسنة على أن هذا مكفِّر لئلا يفتري على الله الكذب.

**الثاني**: انطباق الحكم على الشخص المعين بحيث تتم شروط التكفير في حقه، وتنتفي الموانع.

ومن أهم الشروط أن يكون عالماً بمخالفته التي أوجبت كفره لقوله ـ تعالى ـ ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾ (سورة النساء: ١١٥). فاشترط للعقوبة بالنار أن تكون المشاقة للرسول من بعد أن يتبين الهدى له.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

ولكن هل يشترط أن يكون عالماً بما يترتب على مخالفته من كفر أو غيره أو يكفي أن يكون عالماً بالمخالفة وإن كان جاهلاً بما يترتب عليها؟

والجواب: الثاني؛ أي أن مجرد علمه بالمخالفة كاف في الحكم بما تقتضيه لأن النبي ﷺ أوجب الكفارة على المجامع في نهار رمضان لعلمه بالمخالفة مع جهله بالكفارة؛ ولأن الزاني المحصن العالم بتحريم الزنا يرجم وإن كان جاهلاً بما يترتب على زناه، وربما لو كان عالماً ما زنا.

ومن الموانع من التكفير أن يكره على المُكَفِّر لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ (سورة النحل:١٠٦).

ومن الموانع أن يغلق عليه فكره وقصده بحيث لا يدري ما يقول لشدة فرح، أو حزن، أو غضب، أو خوف ونحو ذلك، لقوله ـ تعالى ـ : ﴿**وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ (سورة الأحزاب:٥). وفي صحيح مسلم (٢١٠٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**» .

ومن الموانع أيضاً أن يكون له شبهة تأويل في الكفر بحيث يظن أنه على حق؛ لأن هذا لم يتعمد الإثم والمخالفة فيكون داخلاً في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ**

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (سورة الأحزاب:٥). ولأن هذا غاية جهده فيكون داخلاً في قوله تعالى ـ: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (سورة البقرة:٢٨٦). قال في المغني (٨/ ١٣١): «وإن استحل قتل المعصومين وأخذ أموالهم بغير شبهة ولا تأويل فكذلك ـ يعني يكون كافراً ـ وإن كان بتأويل كالخوارج فقد ذكرنا أن أكثر الفقهاء لم يحكموا بكفرهم مع استحلالهم دماء المسلمين وأموالهم، وفعلهم ذلك متقربين به إلى الله تعالى» إلى أن قال «وقد عرف من مذهب الخوارج تكفير كثير من الصحابة ومن بعدهم واستحلال دماءهم، وأموالهم، واعتقادهم التقرب بقتلهم إلى ربهم، ومع هذا لم يحكم الفقهاء بكفرهم لتأويلهم، وكذلك يخرج في كل محرَّم استُحل بتأويل مثل هذا».

وفي فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/ ٣٠) مجموع ابن قاسم: «وبدعة الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته، لكن فهموا منه ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب» وفي (ص ٢١٠) منه «فإن الخوارج خالفوا السنة التي أمر القرآن باتباعها، وكفروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاتهم . . وصاروا يتبعون المتشابهة من القرآن فيتأولونه على غير تأويله من غير معرفة منهم بمعناه ولا رسوخ في العلم، ولا اتباع للسنة، ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن». وقال أيضاً (٢٨/ ٥١٨) من المجموع المذكور: «فإن الأئمة متفقون على ذم الخوارج وتضليلهم، وإنما تنازعوا في تكفيرهم على قولين مشهورين»، ولكنه ذكر في (٧/ ٢١٧): «أنه لم يكن في الصحابة من يكفرهم لا علي بن أبي طالب ولا غيره، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكرت الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضع». وفي (٢٨/ ٥١٨): «أن هذا هو المنصوص عن الأئمة

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

كأحمد وغيره». وفي ٣(/ ٢٨٢) قال: «والخوارج المارقون الذين أمر النبي ﷺ بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم، ولم يكفرهم علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، لا لأنهم كفار، ولهذا لم يسب حريمهم، ولم يغنم أموالهم.

وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص، والإجماع، لم يكفروا مع أمر الله ورسوله ﷺ بقتالهم فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم، فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن يكفر الأخرى، ولا تستحل دمها ومالها، وإن كانت فيها بدعة محققة، فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضاً، وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ، والغالب أنهم جميعاً جهال بحقائق ما يختلفون فيه». إلى أن قال: «وإذا كان المسلم متأولاً في القتال، أو التكفير لم يكفر بذلك». إلى أن قال في (ص٢٨٨): «وقد اختلف العلماء في خطاب الله ورسوله هل يثبت حكمه في حق العبيد قبل البلاغ على ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره . . والصحيح ما دل عليه القرآن في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ (سورة الإسراء:١٥). وقوله: ﴿**رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ (سورة النساء:١٦٥). وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: «**ما أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين**» .

والحاصل أن الجاهل معذور بما يقوله أو يفعله مما يكون كفراً، كما يكون معذوراً بما يقوله أو يفعله مما يكون فسقاً، وذلك بالأدلة من الكتاب والسنة، والاعتبار، وأقوال أهل العلم.

وَقَدْ يَقُولها وَهُو يَظُنُّ أنَّها تُقَرِّبُهُ إلى الله كما كان يَظُنُّ المُشركُون خُصُوصاً إنْ ألَهمك الله تعالى ما قَصَّ عَنْ قَوْم مُوسى مع صَلاحهمْ وَعلمهمْ أنَّهُمْ أتوهُ قائلين: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (سورة الأعراف:١٣٨). فَحينئذ يَعْظُمُ خَوْفُك وَحرْصُك على ما يُخلِّصُكَ منْ هذا وأمْثاله[(١)]، واعْلَمْ أنَّهُ سُبْحَانُه منْ حكْمَته لمْ يَبْعَثْ نَبيّاً بهَذا التَّوحيد إلاَّ جَعَلَ لهُ أعْدَاءً كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[(٢)] (سورة الأنعام:١١٢).

---

(١) حينما حذر الشيخ ـ رحمه الله ـ من أمرين أحدهما خوف الإنسان على نفسه من أن يظن ما ظن هؤلاء في معنى التوحيد أنه هو إفراد الله تعالى بالخلق والرزق والتدبير بيَّن ـ رحمه الله ـ أن الواجب على الإنسان أن يكون علي خوف دائماً، ثم يذكر حال القوم الذين قالوا لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة الاعراف:١٣٨، ١٣٩). فبين لهم أن سؤالهم أن يجعل لهم آلهة كما كان هؤلاء لهم آلهة من الجهل فهذا يؤدي إلي خوف الإنسان على نفسه من أن يتيه في الضلالات والجهالات حيث يظن أن معنى «لا إله إلا الله» أي لا خالق ولا رازق ولا مدبر إلا الله ـ عز وجل ـ وهذا الذي قاله الشيخ ـ رحمه الله ـ وحذر منه وقع فيه عامة المتكلمين الذين تكلموا في التوحيد حيث قالوا إن معنى «لا إله إلا الله» أي لا مخترع ولا قادر على الاختراع إلا الله ففسروا هذه الكلمة العظيمة بتفسير باطل لم يفهمه أحد من المسلمين، بل ولا غير المسلمين حتى المشركون الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ وكانوا يعرفون معنى هذه الكملة أكثر مما يعرفها هؤلاء المتكلمون.

(٢) نبه المؤلف ـ رحمه الله ـ في هذه الجملة على فائدة عظيمة حيث بين أن من حكمة الله ـ عز وجل ـ أنه لم يبعث نبياً إلا جعل له أعداءً من الإنس والجن، وذلك أن وجود العدو يمحص الحق ويبينه فإنه كلما وجد المعارض قويت حجة الآخر، وهذا الذي

**وَقَدْ يَكُونُ لأعْدَاء التَّوحيد عُلُومٌ كَثيرةٌ وكُتُبٌ وحُجَجٌ كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾**(١) (سورة غافر:٨٣).

---

جعله الله تعـالى للأنبياء جعله أيضـاً لاتباعهم فكل اتبـاع الأنبياء يحصل لهم مـثل ما يحصل للأنبياء قال الله تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾** (سورة الانعام:١١٢) **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾** (سورة الفرقان:٣١) فإن هؤلاء المجرمين يعتدون على الرسل واتباعهم وعلى ما جاءوا به بأمرين: **الأول**: التشكيك. **الثانيـة**: العدوان.

أما التشكـيك فقال الله تعالى في مـقابلته **﴿كفى بربك هادياً﴾** لمن أراد أن يضله أعداء الأنبياء. وأما العدوان فقال الله تعالى في مقابلته **﴿ونصيراً﴾** لمن أراد أن يردعه أعداء الأنبياء. فـالله تعالى يهدي الرسل وأتباعهم وينصـرهم على أعدائهم ولو كانوا من أقوى الأعداء، فعلينا أن لا نيأس لكثرة الأعداء وقوة من يقاوم الحق فإن الحق كما قال بن القيم ـ رحمه الله ـ :

**الحـق منصـور وممتحن فـلا ❀❀❀ تعجب فهذي سنة الرحمن**

فـلا يجوز لنا أن نيـأس بل علينا أن نطيل النفس وأن نـنتظر وستكون العـاقبـة للمتقين، فالأمل دافع قـوي للمضي في الدعوة والسعي في إنجاحهـا، كما أن اليأس سبب للفشل والتأخر في الدعوة.

(١) يعني أن أعداء الـرسل الذين يجادلونهم ويكذبونهم قـد يكون عندهم علوم كثيرة وكتب وشبهات يسمونها «حججاً» يلبسون بها على الناس فيلبسون الحق بالباطل كما قال تعالى: **﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾** (سورة غافر:٨٣) وهذا الفرح مذموم؛ لأنه فـرح بغير ما يرضي الله فيكون من الفرح المذموم.

**إذَا عَرَفْت ذلك، وعَرَفتَ أنَّ الطريقَ إلى الله لابُدَّ لهُ منْ أعْداء قاعدين عَلَيْه، أهْلِ فَصَاحة وعلْمٍ وحُجَجٍ، فَالواجبُ عليكَ أنْ تَتَعلَّم من دين الله ما يَصيرُ لَكَ سلاحاً تُقَاتلُ به هؤلاء الشيَّاطين الذين قال إمَامهُمْ ومُقَدَّمُهم لربِّك ـ عَزَّ وَجلَّ ـ ﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾**(1) (سورة الأعراف:١٦-١٧).

---

وأشار المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه الجملة إلى أنه ينبغي أن نعرف ما عند هؤلاء من العلوم والشبهات من أجل أن نرد عليهم بسلاحهم وهذا من هدي النبي ﷺ ولهذا لما بعث معاذاً إلى اليمين قال له: «**إنك تأتي قوماً أهل كتاب**» وذلك من أجل أن يستعد لهم ويعرف ما عندهم من الكتاب حتى يرد عليهم بما جاءوا به.

(1) إذا عرفت هذا أي أن لهؤلاء الأعداء كتباً وعلوماً وحججاً يلبسون بها الحق بالباطل فعليك أن تستعد لهم، والاستعداد لهم يكون بأمرين:

**أحدهما**: ما أشار إليه المؤلف ـ رحمه الله ـ بأن يكون لديك من الحجج الشرعية والعقلية ما تدفع به حجج هؤلاء وباطلهم.

**الثاني**: أن تعرف ما عندهم من الباطل حتى ترد عليهم به، ولهذا قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في كتابه درء تعارض النقل والعقل، قال: «إنه ما من إنسان يأتي بحجة يحتج بها على الباطل إلا كانت حجة عليه وليست حجة له».

وهذا الأمر كما قال رحمه الله فإن الحجة الصحيحة إذا احتج بها المبطل على باطله فإنها تكون حجة عليه وليست حجة له، فعلى من أراد أن يجادل هؤلاء يتأكد أن يلاحظ هذين الأمرين:

**الأمر الأول**: أن يفهم ما عندهم من العلم حتى يرد عليهم به.

**والأمر الثاني**: أن يفهم الحجج الشرعية والعقلية التي يرد بها على هؤلاء.

**وَلَكِنْ إذا أَقْبَلْتَ على الله وأَصْغَيْتَ إلى حُجَجِهِ وبَيِّنَاتِه فَلا تَخَفْ ولا تَحْزَن ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾**(١) (سورة النساء:٧٦).

**وَالعَامِّي مِنْ المُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ ألفاً من علماء هؤلاء المُشْرِكين كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾**(٢) (سورة الصافات:١٧٣).

---

(١) يريد المؤلف ـ رحمه الله ـ أن يشجع من أقبل على الله تعالى وعرف الحق بأن لا يخاف من حجج أهل الباطل؛ لأنها حجج واهية وهي من كيد الشيطان وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ . وفي ذلك يقول القائل:

**حجج تهافت كالزجاج تخالها ❀❀❀ حقاً وكل كاسر ومكسور**

(٢) قال الشيخ رحمه الله تعالى: «**والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين**» واستدل بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ . العامي من الموحدين: يعني من الذين يقرون بالتوحيد بأنواعه الثلاثة (الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات).

يغلب ألفاً من علماء المشركين: لأن علماء هؤلاء المشركين يوحدون الله ـ عز وجل ـ توحيداً ناقصاً حيث إنهم لا يوحدونه إلا بتوحيد الربوبية فقط، وهذا توحيد ناقص ليس هو توحيداً في الحقيقة بدليل أن النبي ﷺ قاتل المشركين الذين يوحدون الله هذا التوحيد، ولم ينفعهم هذا التوحيد ولم تعصم به دماؤهم وأموالهم.

والعامي من الموحدين يقر بأنواع التوحيد الثلاثة:

توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، فيكون خيراً من هؤلاء.

فَجُنْدُ الله هُمُ الغَالِبُونَ بِالحُجَّة واللِّسَان، كَمَا أنَّهُم الغَالِبُونَ بالسَّيْف والسِّنَان[١]. وإنَّما الخوْفُ على المُوَحِّدِ الذي يَسْلُكُ الطرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلاحٌ[٢].

---

(١) أشار المؤلف ـ رحمه الله ـ إلى أن جند الله وهم عباده المؤمنون الذين ينصرون الله ورسوله يجاهدون الناس بأمرين:

الأول: الحجة والبيان وهذا بالنسبة للمنافقين الذين لا يظهرون عداوة المسلمين فهؤلاء يجاهدون بالحجة والبيان.

الثاني: من يجاهد بالسيف والسنان وهم المظهرون للعداوة وهم الكفار الخلص المعلنون بكفرهم وفي هذا والذي قبله يقول الله ـ عز وجل ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (سورة التحريم: ٩).

والجهاد بالحجة والبيان يكون للكفار الخلص المعلنين لكفرهم أولاً، ثم يجاهدون بالسيف والسنان ثانياً، ولا يجاهدون بالسيف والسنان إلا بعد قيام الحجة عليهم.

والواجب على الأمة الإسلامية أن تقابل كل سلاح يصوب نحو الإسلام بما يناسبه، فالذين يحاربون الإسلام بالأفكار والأقوال يجب أن يبين بطلان ما هم عليه بالأدلة النظرية العقلية إضافة إلى الأدلة الشرعية، والذين يحاربون الإسلام من الناحية الاقتصادية يجب أن يدافعوا، بل أن يهاجموا إذا أمكن، بمثل ما يحاربون به الإسلام، والذين يحاربون الإسلام بالأسلحة يجب أن يقاوموا بما يناسب تلك الأسلحة.

(٢) أي أن الخوف من أعداء الأنبياء إنما هو على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح؛ لأنه ليس له علم يتسلح به فيخشى أن يجادله أحد من هؤلاء المشركين فتضيع حجته فيهلك، فلابد أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات ويفحم به الخصم؛ لأن المجادل يحتاج إلى أمرين:

وَقَدْ مَنَّ الله تعالى عَلَيْنَا بكتابه الذي جَعَلَهُ: ﴿ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] (سورة النحل:٨٩).

---

الأول : إثبات دليل قوله. الثاني: إبطال دليل خصمه.

ولا سبيل إلي ذلك إلا بمعرفة ما هو عليه من الحق، وما عليه خصمه من الباطل ليتمكن من دحض حجته.

(١) منَّ الله علينا بكتابه العزيز الذي ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (سورة فصلت:٤٢) وجعله سبحانه وتعالى تبياناً أي مبيناً لكل شيء يحتاجه الناس في معاشهم ومعادهم ثم إن تبيان القرآن للأشياء ينقسم إلي قسمين:

**الأول**: أن يبين الشيء بعينه مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ ﴾ (سورة المائدة:٣) وقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ ﴾ (سورة النساء: ٢٣، ٢٤).

**الثاني**: أن يكون التبيان بالإشارة إلى موضع البيان مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (سورة النساء:١١٣). فأشار الله تعالى إلى الحكمة التي هي السنة، فإنها تبين القرآن وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة النحل:٤٣) وأيضاً (سورة الأنبياء:٧).

**فَلا يَأتي صَاحِبُ بَاطل بحُجَّة إلاَّ وفي القُرآن ما يَنْقُضُـها ويُبَيِّنُ بُطلانهَا، كما قال تعالى: ﴿ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾[1]** (سورة الفرقان:٣٣).

**قَالَ بَعْضُ المُفَسِّرين هَذه الآيَةُ عَـامَّةٌ في كل حُـجَّة يَأتي بها أهْلُ البَاطل إلى يَوْمِ القِيَامة، وأنَا أذْكُـر لك أشْياء مِمَّا ذَكَرَ الله في كِتَابِه جَـوَابًا لِكَلامِ احْتَجَّ بِهِ المُشْرِكُون في زَمَانِنَا عَلَيْنَا[2].**

---

فهـذا يبين أننا نرجع في كل شيء إلى أهله الذين هم أهل الذكر به ولهـذا يذكر أن بعض أهل العلم أتاه رجل مـن النصارى يريد الطعـن في القرآن الكريم وكـان في مطعم فقال له هذا النصراني: أين بيان كـيف يصنع هذا الطعام؟ فدعا الرجل صاحب المطعم وقال له: صف لنا كـيف تصنع هذا الطعام؟ فـوصفه، فقـال: هكذا جاء في القـرآن فتـعجب النصـراني وقال: كـيف ذلك؟ فقـال: إن الله ـ عز وجل ـ يقـول: ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ (سورة النحل:٤٣). فبين لنا مفتاح العلم بالأشياء بأن نسأل أهل الذكر بها أي أهل العلم به، وهذا من بيان القرآن بلاشك فالإحالة على من يحصل بهم العلم هي فتح للعلم.

(١) لا يأتي مبطل بحجة على باطله إلا وفي القـرآن ما يبين هذه الحجة الباطلة، بل إن كل صاحب باطل استدل لباطله بدليل صـحيح من الكتاب والسنة فهذا الدليل يكون دليلاً عليـه كما ذكر شـيخ الإسلام ـ رحمه الله تعـالى ـ في مقدمة كـتابه درء تعارض النقل والعقل أنه ما من صاحب بدعـة وباطل يحتج لباطله بشيء من الكتاب أو من السنة الصحيحة إلا كان ذلك الدليل دليلاً عليه وليس دليلاً له.

(٢) قال المؤلف رحمـه الله مستدلاً على أن الرجل الموحد سـتكون له حجة أبلغ وأبين من حجة غـير الموحد مهـما بلغ من الفصاحـة والبيان كمـا قال تعالى: ﴿ **ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً** ﴾ أي لا يأتونك بمثل يجادلونك به ويلبسون

**فَنَقُولُ جوَابُ أهْلِ البَاطِلِ منْ طَرِيقَيْنِ: مُجْمَلٍ، ومُفَصَّلٍ، أمَّا المُجْمَلُ: فَهُوَ الأمْرُ العَظِيمُ والفَائدةُ الكَبِيرَةُ لمَنْ عَقَلَها وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾**(١) (سورة آل عمران:٧).

---

الحق بالباطل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ولهذا تجد في القرآن كثيراً ما يجيب الله تعالى عن أسئلة هؤلاء المشركين وغيرهم ليبين - عز وجل - للناس الحق، وسيكون الحق بيناً لكل أحد.

ولكن هاهنا أمر يجب التفطن له وهو: أنه ينبغي لإنسان أن يدخل في مجادلة أحد إلا بعد أن يعرف حجته ويكون مستعداً لدحرها والجواب عنها، لأنه إذا دخل في غير معرفة صارت العاقبة عليه، إلا أن يشاء الله كما أن الإنسان لا يدخل في ميدان المعركة مع العدو إلا بسلاح وشجاعة، ثم ذكر المؤلف رحمه الله أنه سيذكر في كتابه هذا كل حجة أتى بها المشركون ليحتجوا بها على شيخ الإسلام - رحمه الله - ويكشف هذه الشبهات لأنها في الحقيقة ليست حججاً، ولكنها تشبيه وتلبيس.

(١) بين رحمه الله تعالى أنه سيجيب على هذه الشبهات بجوابين:

**أحدهما**: مجمل عام صالح لكل شبهة.

**الثاني**: مفصل، وهكذا ينبغي لأهل العلم في باب المناظرة والمجادلة أن يأتوا بجواب مجمل حتى يشمل ما يحتمل أن يورده الملبسون المشبهون ويأتي بجواب مفصل لكل مسألة بعينها قال الله تعالى: **﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾** (سورة هود:١) فذكر في الجواب المجمل رحمه الله: أن هؤلاء الذين يتبعون المتشابه هم الذين في قلوبهم زيغ كما صح ذلك عن النبي ﷺ في قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ﴾** (سورة آل عمران:٧).

**وَقَدْ صَحَّ[١] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذَا رأيْتُم الذين يَتَّبعُون ما تَشَابه مِنْهُ فَأولئك الذين سَمَّي الله فَاحْذَرُوهُمْ».**

---

ولهذا تجد أهل الزيغ والعياذ بالله يأتون بالآيات المتشابهات ليلبسوا بها على باطلهم فيقولون مثلاً قال الله تعالى كذا وقال في موضع آخر كذا؟ فكيف يكون، وهذا مثل ما حصل لنافع ابن الأزرق مع ابن عباس رضي الله عنهما في مناظرته التي ذكرها السيوطي في الإتقان وربما يكون غيره ذكرها وهي مفيدة.

(١) قال الشيخ ـ رحمه الله ـ وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**» استدل المؤلف ـ رحمه الله ـ بهذا الحديث على أن الرجل الذي يتبع المتشابه من القرآن أو من السنة وصار يلبس به على باطله فهؤلاء هم الذين سماهم الله ووصفهم بقوله: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ**﴾ (سورة آل عمران:٧). الآية ثم أمر النبي ﷺ بالحذر منهم فقال احذروهم من أن يضلوكم عن سبيل الله باتباع هذا المتشابه واحذروا طريقهم أيضاً فالتحذير هنا يشمل التحذير منهم أيضاً.

ثم ضرب المؤلف لهم مثلاً بأن يقول لك المشرك أليس الله يقول: ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ أو ليس للأولياء جاه عند الله سبحانه وتعالى؟ أو ليست الشفاعة ثابتة بالقرآن والسنة؟ وما أشبه ذلك من هذه الأشياء فقل: نعم كل هذا حق ولكنه ليس فيه دليل علي أن تشرك بهؤلاء الأولياء، أو بهؤلاء الرسل، أو بهؤلاء الذين عندهم شفاعة عند الله ـ عز وجل ـ ودعواك أن هذا يدل على ذلك دعوى باطلة لا يحتج بها إلا مبطل وما أنت إلا من الذين قال الله فيهم: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ**﴾ (سورة آل عمران:٧) ولو أنك رددت هذا المتشابه إلى المحكم لعلمت أن هذا لا دليل لك فيه.

مثَال ذَلك: إذا قـالَ لَكَ بعضُ المشْركين: ﴿ألا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّه لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس:٦٢) وأنَّ الشَّفَاعَـةَ حَـقٌّ وَأنَّ الأنْبيـاءَ لهُمْ جـاهٌ عنـد الله، أو ذَكَرَ كَلاماً للنبي ﷺ، يَسْتَـدلُّ به عَلى شيء منْ بَاطله وأنْتَ لا تفهم مَـعْنى الكَـلام الـذي ذَكَـرَهُ، فـجَـاوبْهُ بقَـولكَ: إنَّ الله ذكَـر في كـتَـابه أنَّ الذين في قُلُوبـهم زيْغٌ يَتـركُـون المُحكم ويَتبعُـون المُتشَابهَ.

وَمَـا ذَكَـرْتُه لك من أنَّ الله تَعَـالى ذكـر أنَّ المُشْـركـين يُقـرُّون بالرُّبُوبيَّـة، وأنَّ كُفْرهم بتَعلُّقهم على المـلائكة والأنْبياء والأوْلياء مع قولهم: ﴿هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عندَ اللَّه﴾ (سورة يونس:١٨) هذا أمْرٌ مُحْكَمٌ بيِّن لا يَقْدر أحَدٌ أنْ يُغَيِّرَ مَعْنَاه[1].

وَمَا ذَكَـرْتَ لي أيُّها المُشْرك من القُـرآن أوْ كلام النبي ﷺ، لا أعْـرف مَعْناهُ، وَلَكن أقْطَعُ أنَّ كَلامَ الله لا يَتَناقَضُ، وأنَّ كلام النبي ﷺ لا يُخَالف كلام الله[2].

---

(١) ذكر المؤلف ـ رحـمه الله ـ كيف نرد المتـشابه إلى المحكم أن المشـركين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ويؤمنون بذلك إيماناً لاشك فيه عندهم ولكنهم يعبدون الملائكة وغيرهم ويقولون هـؤلاء شفعاؤنا عند الله ومع هذا كانوا مشركـين استباح النبي ﷺ دماءهم وأمـوالهم وهذا نص محكم لا اشتـباه فيـه دال على أن الله لا شريك له في ألوهيته وفي عـبادته كما أنه لا شريك له في ربوبيـته وملكه، وأن من أشرك بالله في ألوهيته فهو مشرك وإن وحّده في الربوبية.

(٢) قوله ـ رحمه الله ـ «ما ذكرت أيهـا المشرك من كلام الله تعالـى وكلام رسوله لا أعرف مـعناه، ولكني أعلم أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخـالف كلام الله» يريد بقـوله: «لا أعـرف معنـاه» أي لا أعـرف مـعناه الذي أنت تدعيـه، وإنني أنكره ولا أقـر به، لأنني أعلم أن كـلام الله لا يتناقـض، وأن كـلام النبي ﷺ لا يخـالف كلام الله، قال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا

**وَهَذَا جَوَابٌ جَيدٌ سَديدٌ**(١) **ولكنْ لا يَفْهمُهُ**(٢) **إلاَّ من وَفَقَهُ الله فلا تَسْتهن به، فإنَّه كـما قـال تعالى: ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾** (سورة فصلت:٣٥).

---

**كثيراً﴾** (سورة النساء:٨٢)، وقال تعالى: **﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾** (سورة النحل:٨٩)، وقال تعالى: **﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾** (سورة النحل:٤٤)، وكلام الرسول ﷺ لا يخالف كلام الله، وكذلك كلام الله لا يناقض بعضه بعضا، وقد أخبر سبحانه وتعالى أنه لا شريك له، وقال النبي ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ....** » . إلي آخر الحديث، وهذا كله يؤيد بعضه بعضاً، ويدل على أن الله تعالى ليس له شريك في الألوهية كما أنه ليس له شريك في الربوبية.

(١) قوله رحمه الله: «**وهذا جواب جيد سديد**» يعني قول الإنسان لخصمه أن كلام الله تعالى لا يتناقض وأن كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يخالف كلام الله، وأن الواجب رد المتشابه إلى المحكم، فهذا أجاب بجواب سديد أي ساد لمحله لا يمكن لأحد أن يناقضه، أو يرد عليه ما ينقضه لأنه كلام محكم مبني على الدليلين: السمعي، والعقلي وما كان كذلك فإنه جواب لا يمكن لأي مبطل أن ينقضه.

(٢) قوله: «**ولكن لا يفهمه .. الخ**» يعني أن هذا الجواب لا يفهمه إلا من وفقه الله فكشف عنه فتنة الشبهات وفتنة الشهوات ثم استدل لذلك بقوله تعالى: **﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا﴾** أي ما يوفق للدفع بالتي هي أحسن.

وأمَّا الجـوابُ المُفَصَّل(١) فإنَّ أعْـداء الله لهمُ اعْتـرَاضاتٌ كـثيـرة على دين الرُّسُل يَصُدُّون بـها النَّاس عَنْهُ، منهـا: قَولُهُم نحنُ لا نُشْـرِكَ بالله، بل نَشْهَـدُ أنَّهُ لا يَخْلُق ولا يَرْزُقُ ولا يَنْفعُ ولا يَضرُّ إلا الله وَحْـدَهُ لا شَريك لهُ، وأنَّ مـحمَّداً ﷺ لا يَمْلكُ لنَفْـسه نفْعاً ولا ضَراً فَضْلاً عن عَبْد القَادر أو غَيْره.

ولَكنْ أنا مُذْنبٌ، والصَّـالحُون لهُم جاهٌ عنْدَ الله، وأطْلُبُ من الله بهمْ، فَـجَاوبه بما تَقَدَّم وهُوَ: أنَّ الذين قَاتَلَهُم رسول الله ﷺ مُقـرُّون بمَا ذَكَرْت، ومُقرُّون بأن أوْثَانَهُم لا تُدبِّرُ شيْئاً، وإنَّمَا أرَادُوا الجاه والشَّفَاعة(٢). وَاقْرأ عَلَيْه مَا ذَكَرَ الله في كتَابه ووضَّحَه(٣).

---

(١) قوله رحمـه الله تعالى: «أما الجـواب المفصل .. الخ» لأن الجواب الأول كان مجـملاً يرد به الإنسان على كل شـبهة، ثم هناك جواب مـفصل أي مميز بعـضه عن بعض بحيث تدفع به شبهة كل واحد بعينها.

فإذا قال لك المشرك: أنا لا أشـرك بالله، بل أشهد أنه لا يخلق، ولا يرزق، ولا ينفع، ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محـمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عمن دونه ﷺ، كعبـد القادر يعني ابن موسى الجيلاني ـ على خلاف في اسم أبيه ـ كان من كبار الزهاد والمتصوفين ولد سنة ٤٧١ بجيلان وتوفي سنة ٥٦١ في بغداد وكان حنبلي المذهب، وهـذا هو التوحيد، فهذه شـبهة يلبس بها ولكنها شـبهة داحضة لا تفيده شيئاً.

(٢) قوله «ولكن أنا مذنب .. الخ» هذا بقية كلام المشبه، فأجبه بأن ما ذكرت هو ما كان عليه المشـركون الذين قاتلهم النبي ﷺ واستباح دمـاءهم ونساءهم وأموالهم، ولم يغنهم هذا التوحيد شيئاً.

(٣) قوله: «واقرأ عليـه ما ذكر الله تعـالى في كتابه ووضـحه»، يريد بذلك أن تقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه من توحيد الألـوهية فإنه جل وعلا أبدأ فيه وأعاد وكرر من

**فَإِنْ قَالَ: هَؤلاء(١) الآياتُ نَزَلت فِيمَنْ يَعْبُد الأصْنَام، كَيْفَ تَجْعَلُون الصَّالحينَ مثْل الأصْنَام؟أمْ كَيْفَ تَجْعَلُونُ الأنبياء أصْنَاماً؟ فجَاوبه بما تَقدَّمَ.**

**فَإنَّه إذا(٢) أقرَّ أن الكُفَّارَ يَشْهَدُون بالرُبُوبيَّة كُلِّها لله، وأنَّهُم ما أرَادُوا ممَّن قَصَدُوا إلاَّ الشَّفَاعَة، ولَكنْ أرَادَ أن يُفَرِّقَ بَيْنَ فعْلهمْ وفعْله بمَا ذَكَرَهُ.**

---

أجل تثبيته في قلوب الناس وإقامة الحجة عليهم فقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلكَ من رَّسُول إلاَّ نُوحي إلَيْه أَنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون**﴾ (سورة الأنبياء:٢٥) وقال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجنَّ وَالإنسَ إلاَّ ليَعْبُدُون**﴾ (سورة الذاريات:٥٦) وقال تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ وَالْمَلائكَةُ وَأُوْلُوا الْعلْم قَائمًا بالْقسْط لا إلَهَ إلاَّ هُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ**﴾ (سورة آل عمران:١٨) وقال تعالى: ﴿**وَإلَهُكُمْ إلَهٌ وَاحدٌ لاَّ إلَهَ إلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحيمُ**﴾ (سورة البقرة:١٦٣)، وقال تعالى: ﴿**فَإيَّايَ فَاعْبُدُون**﴾ (سورة العنكبوت:٥٦) إلى غيرها من الآيات الكثيرة الدالة على وجوب توحيد الله ـ عز وجل ـ في عبادته، وأن لا يعبد أحد سواه، فإذا اقتنع بذلك فهذا هو لمطلوب وإن لم يقتنع فهو مكابر معاند يصدق عليه قول الله تعالى: ﴿**وَجَحَدُوا بهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقبَةُ الْمُفْسدينَ**﴾ (سورة النمل:١٤).

(١) قوله: «**فإن قال: هؤلاء**» يعني أهل الشرك هذه الآيات نزلت في المشركين الذين يعبدون الأصنام، وهؤلاء الأولياء ليسوا بأصنام.

فجاوبه بما تقدم أي بأن كل من عبد غير الله فقد جعل معبوده وثناً فأي فرق بين من عبد الأصنام وعبد الأنبياء والأولياء؟! إذ أن الجميع لا يغني شيئاً عن عابديه.

(٢) يقول: «**فإنه**» أي هذا القائل يعلم أن المشركين قد أقروا بالربوبية، وأن الله سبحانه وتعالى هو رب كل شيء وخالقه ومالكه، ولكنهم عبدوا هذه الأصنام من أجل أن تقربهم إلى الله زلفى، وتشفع لهم فقد أقر بأن مقصودهم كمقصوده ومع ذلك لم ينفعهم هذا الاعتقاد كما سبق.

فَاذْكُرْ لَهُ أَنَّ الكُفَّارَ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَصْنَامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَوْلِيَاءَ الذين قال الله فيهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ (سورة الإسراء:٥٧). وَيَدْعُون عيسى بن مَرْيَم وأُمَّهُ وَقَدْ قال الله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1] (سورة المائدة:٧٥-٧٦).

---

(١) قوله: «فاذكر له ... الخ» جواب قوله: «فإنه إذا أقر أن الكفار .. الخ» يعني فاذكر له أن هؤلاء المشركين منهم من يدعو الأصنام لطلب الشفاعة كما أنت كذلك موافق لهم في المقصود، ومنهم من يعبد الأولياء كما أنت كذلك موافق لهم في المقصود والمعبود، ودليل أنهم يدعون الأولياء قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ (سورة الإسراء:٥٧). وكذلك يعبدون الأنبياء كعبادة النصارى المسيح ابن مريم، وكذلك يعبدون الملائكة كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (سورة سبأ: ٤٠). الآية، فتبين بذلك الجواب عن تلبيسه بكون المشركين يعبدون الأصنام وهو يعبد الأولياء والصالحين من وجهين:

**الوجه الأول:** أنه لا صحة لتلبيسه لأن من أولئك المشركين من يعبد الأولياء والصالحين.

**الوجه الثاني:** لو قدرنا أن أولئك المشركين لا يعبدون إلا الأصنام فلا فرق بينه وبينهم لأن الكل عبد من لا يغني عنه شيئاً.

وَاذْكُرْ لَهُ قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾[1] (سورة سبأ: ٤٠،٤١).

وَقَوْلَهُ تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾[2] (سورة المائدة: ١١٦).

فقُلْ لَهُ: أَعَرَفْتَ أَنَّ الله كَفَّرَ مَنْ قَصَدَ الأَصْنَامَ، وَكَفَّرَ أَيْضاً مَنْ قَصَدَ الصَّالحِينَ وَقَاتَلَهُمْ رَسُول الله ﷺ؟[3].

---

(١) قوله: «واذكر له قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ ﴾» الآيتين، هذه معطوفة على قوله سابقاً: «فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام .. الخ». والمقصود من هذا أن يتبين له أن من الكفار من يعبد الملائكة وهم من خيار خلق الله وأوليائه فيبطل تلبيسه بأن الفرق بينه وبين الكفار أنه هو يدعو الصالحين والأولياء، والكفار يعبدون الأصنام من الأحجار ونحوها.

(٢) قوله: «وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾» الآية، أي واذكر له قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ... ﴾ لتلقمه حجراً في أن الكفار كانوا يعبدون الأولياء والصالحين فلا فرق بينه وبين أولئك الكفار.

(٣) قوله: «فقل له .. الخ» أي قل ذلك مبيناً له أن الله سبحانه وتعالى كَفَّر من عبد الصالحين، ومن عبد الأصنام، والنبي ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ولم ينفعهم أن كان المعبودون من أولياء الله وأنبيائه.

فَإِنْ قَالَ:(١) الكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنهُمْ وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ الله هُو النَّافعُ الضَّارُّ المُدَبِّر لا أُريدُ إلاَّ منهُ، والصَّالِحُونَ لَيْسَ لهُمْ من الأمْر شيء ولَكن أقْصُدُهُم أرْجُو من الله شَفَاعَتَهُم.

فَالجَوابُ: أنَّ هذا قولُ الكُفَّار سَواءً بسَواء واقْرَأ عَلَيْه قَوْلَهُ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا من دُونه أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (سورة الزمر:٣) وَقَوْلَهُ تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ (سورة يونس:١٨).

واعْلَمْ: أنَّ هَذه الشُّبَه الثَّلاث هي أكْبَرُ ما عندَهُمْ، فإذا عَرَفْتَ أنَّ الله وَضَّحَها لَنَا في كتَابِه وفَهِمْتَها فهماً جَيِّداً فَما بَعْدَها أيْسَرُ منها(٢).

---

(١) قوله: «فإن قال» يعني هذا المشرك، الكفار يريدون منهم أي يريدون أن ينفعوهم أو يضروهم وأنا لا أريد إلا من الله، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، وأنا لا أعتقد فيهم ولكن أتقرب بهم إلى الله ـ عز وجل ـ ليكونوا شفعاء.

فقل له: وكذلك المشركون الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ، هم لا يعبدون هؤلاء الأصنام لاعتقادهم أنها تنفع وتضر ولكنهم يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى كما قال تعالى عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ وقال: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ فتكون حالهُ كحال هؤلاء المشركين سواء بسواء.

(٢) قوله رحمه الله تعالى: «هذه الشبه الثلاث»:

الشبهة الأولى: قولهم: «أننا لا نعبد الأصنام إنما نعبد الأولياء».

الشبهة الثانية: قولهم: «أننا ما قصدناهم وإنما قصدنا الله ـ عز وجل ـ في العبادة».

الشبهة الثالثة: قولهم: «أننا ما عبدناهم لينفعونا أو يضرونا، فإن النفع والضر بيد الله عز وجل، ولكن ليقربونا إلى الله زلفى، فنحن قصدنا شفاعتهم بذلك، يعني فنحن لا نشرك بالله سبحانه وتعالى».

فإذا تبين لك انكشاف هذه الشبه فانكشاف ما بعدها من الشبه أهون وأيسر لأن هذه من أقوى الشبه التي يلبسون بها.

فَإِنْ قَالَ: أنَا لا أعْبُدُ إلاَّ الله، وَهَذا الالتجَاء إلى الصَّالحِينَ وَدعاؤهُمْ لَيْس بعبادَة.

فَقُلْ لهُ: أَنْتَ تُقرُّ أنَّ الله فَرَضَ عَلَيْك إخْلاصَ العبَادة لله[1] وَهُوْ حقّهُ عَلَيْك، فَإِذَا قَال نَعَمْ فَقُل لهُ: بيِّنْ لي هذا الذي فَرَض عَلَيْك وَهُو إخْلاَصُ العبَادة لله وَحْدَهُ، وَهُوْ حقُّهُ عَلَيْكَ فَإِنْ كَانَ لا يَعْرفُ العبَادَةَ وَلا أنْواعهَا.

فَبيِّنْها لَهُ بِقَولكَ: قال تَعَالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (سورة الأعراف:٥٥) فَإِذَا أَعْلَمْتَهُ بهَذا، فَقُلْ لَهُ: هَلْ عَلمْتَ هَذَا عبَادَةً لله فَلابُدَّ أنْ يَقُولُ نَعَمْ، والدُّعَاء مُخُّ العبَادَة[2].

فَقُلْ لَهُ[3] إذَا أقْرَرْتَ أنَّهَا عبَادَةٌ، وَدَعَوْتَ الله لَيْلاً وَنَهَاراً، خَوْفاً وَطَمَعاً، ثُمَّ دَعَوْتَ في تِلْكَ الحَاجَة نَبِيّاً أوْ غَيْرَهُ هَلْ أشْرَكْتَ في عبَادَة الله غَيْرَه؟ فلابُدَّ أنْ يَقُول:

---

(١) إذا قال هذا الرجل المشبه أنا لست أعبدهم كما أعبد الله ـ عز وجل ـ والالتجاء إليهم ودعاؤهم ليس بعباده فهذه شبهة.

وجوابها أن تقول: إن الله فرض عليك إخلاص العبادة له وحده. فإذا قال: نعم، فاسأله ما معنى إخلاص العبادة له؟ فإما أن يعرف ذلك، وإما أن لا يعرف، فإن كان لا يعرف فبين له ذلك ليعلم أن دعاءه للصالحين وتعلقه بهم عبادة.

(٢) قوله: «فبينها له» أي بين له أنواع العبادة فقل له: إن الله يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ والدعاء عبادة، وإذا كان عبادة فإن دعاء غير الله يكون إشراكاً بالله ـ عز وجل ـ وعلى هذا فالذي يستحق أن يدعى ويعبد ويرجى هو الله وحده لا شريك له.

(٣) قوله: «فقل له ... إلخ»، يعني إذا بينت أن الدعاء عبادة وأقر به فقل له: ألست تدعو الله تعالى في حاجة ثم تدعو في تلك الحاجة نفسها نبياً أو غيره فهل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلابد أن يقول: نعم لأن هذا لازم لا محالة، هذا بالنسبة للدعاء.

نَعَمْ، فَقُلْ لهُ: إذَا عَلِمْت بِقَوْلِ الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[1] (سورة الكوثر:٢). وأَطَعْتَ الله وَنَحَرْتَ لَهُ، هَلْ هَذَا عِبَادَة؟ فَلابُدَّ أَنْ يَقُولُ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: إذَا نَحَرْتَ لمَخْلُوق نَبِيٍّ، أو جِنِّي أو غَيْرِهما هَلْ أشْرَكْتَ في هَذِه العِبَادَة غَيْر الله؟ فَلابُدَّ أنْ يُقِرَّ وَيَقُول: نَعَمْ.

وَقُلْ لهُ أيْضاً[2]: المُشْرِكُون الذين نَزَلَ فِيهِمُ القُرآنُ، هَلْ كَانُوا يَعْبُدُون المَلائكَة والصَّالحينَ واللاَّتَ وغَيْر ذلك؟ فَلابُدَّ أن يَقُول: نَعَمْ، فَقُل لهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادتُهُمْ إلا في الدُّعَاء والذَّبْح والالتجَاء وَنَحْوِ ذَلكَ، وإلاَّ فَهُمْ مُقِرُّون أنَّهُمْ عَبِيدُهُ وتَحْت قَهْرِه، وأنَّ الله هو الذي يُدَبِّرُ الأمْرَ، وَلكِنْ دَعَوْهُمْ وَالتجَأُوا إلَيْهِمْ للجَاه والشَّفَاعَة، وَهَذا ظاهِرٌ جِداً.

---

(١) ثم انتقل المؤلف رحمه الله إلى نوع آخر من العبادة وهو النحر قال: فقل له إذا علمت بقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ وأطعت الله ونحرت له أهذا عبادة؟ فلابد أن يقول: نعم فقد أعترف أن النحر لله تعالى عبادة وعلى هذا يكون صرفه لغير الله شركاً، قال المؤلف ـ رحمه الله ـ مقرراً ذلك: «فقل له إذا نحرت لمخلوق . . الخ» وهذا إلزام واضح لا محيد عنه.

(٢) قوله: «وقل له أيضاً: المشركون ... إلخ» انتقل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ إلى إلزام آخر سبقت الإشارة إليه وهو أن يسأل هذا المشبه هل كان المشركون يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك فلابد أن يقول: نعم. فيسأل مرة أخرى: هل كانت عبادتهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك مع إقرارهم بأنهم عبيد الله وتحت قهره وأن الله هو الذي يدبر الأمر لكن دعوهم والتجؤوا إليهم للجاه والشفاعة كما سبق وهذا ما وقع فيه المشبه تماماً.

**فَإنْ قَالَ: أَتُنْكِرُ شَفَاعَةَ رسـول الله، ﷺ وَتَبرأ منها؟ فَقُل: لا أنكرُها ولا أتبرأُ منْهَا، بَلْ هُوَ ﷺ، الشَّافِعُ المُشَفَّعُ وأرْجُو شَفَاعَتَهُ، ولكِنِ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لله، كَمَا قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾**[1] (سورة الزمر:٤٤).

**ولاَ تَكُونُ إلاَّ منْ بَعْـد إذْن الله كما قَـال ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾** (سورة البقرة:٢٥٥) **ولا يَشْفَعُ في أحَد إلاَّ منْ بَعْد أنْ يَأذَن الله فيه**[2] **كَمَا قَالَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾** (سورة الأنبياء:٢٨). **وَهُوَ لا يَرْضَى إلاَّ التَّوْحِيدَ كمَا قَال ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾** (سورة آل عمران:٨٥).

---

(١) قوله: «**فإن قال**» يعني إذا قال لك المشرك المشبه هل تنكر شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول هذا من أجل أن يلزمك بجـواز دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عسـى أن يشفع لك عند الله إذا دعـوته، فقل له: لا أنكر هذه الشـفاعـة ولا أتبرأ منها، ولكني أقول إن الشفـاعة لله ومرجعها كلها إليه وهو الذي يأذن فـيها إذا شاء ولمن شاء لقول الله تعالى: **﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾** (سورة الزمر:٤٤).

(٢) قوله: «**ولا تكون إلا بعد إذن الله ... إلخ**». بيَّن ـ رحمه الله ـ أن الشـفاعة لا تكون إلا بشرطين:

**الشرط الأول**: أن يأذن الله بها لقوله تعالى: **﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾**.

**الشرط الثاني**: أن يرضى الله ـ عز وجل ـ عن الشافع والمشفوع له، لقوله تعالى: **﴿ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾** (سورة طه:١٠٩)، ولقول الله تعالى: **﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾** سورة الأنبياء:٢٨) ومن المعلوم أن الله لا يرضى إلا بالتـوحيد ولا يمكـن أن يرضى الكفر لقولـه تعالى: **﴿ إِن تَكْفُـرُوا فَـإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَـادِهِ الْكُفْـرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَـهُ لَكُمْ ﴾** (سورة الزمر:٧)، فإذا كان لا يرضى الكفر فإنه لا يأذن بالشفاعة للكافر.

**فَإِذَا كَـانَت الشَّفَاعَـةُ كُلُّهَا لله**[١] **، ولا تَكُونُ إلاَّ منْ بَعْد إذْنه، وَلا يَـشْفَعُ النبي ﷺ ولا غَيْرُهُ في أحَد حَتَّى يأذن الله فيه، ولا يَأْذَنُ إلاَّ لأهْلِ التَّوْحيد، تَبَـيَّنَ لك أنَّ الشَّفَاعة كُلَّها لله فاطْلُبهَا منْهُ، فَأقُولُ اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْني شفَاعَتَهُ، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فيَّ، وأمْثَال هَذا.**

**فَإنْ قَال**[٢] **: النَّبيُّ ﷺ أُعْطِي الشَّفَاعَة وأنَا أطْلُبُهُ مِمَّا أعْطَاه الله؟**

---

(١) قوله: «**فإذا كانت الشفاعة كلها لله .. إلخ**» أراد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أنه إذا كانت الشـفاعـة لله، ولا تكون إلا بإذنه، ولا تكون إلا لمن ارتضى ولا يرضى إلا التوحيد لزم من ذلك أن لا تطلب الشفـاعة إلا من الله تعالى لا من النبي ﷺ فيقول اللهم شفع فيَّ نبيك اللهم لا تحرمني شفاعته وأمثال ذلك.

(٢) قوله: «**فإن قال**» أي المشرك الذي يدعو رسول الله ﷺ إن الله أعطى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم الشفاعة فأنا أطلبها منه. فالجواب: من ثلاثة أوجه:

**الأول**: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك أن تشرك به في دعائه فقال: ﴿**فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً**﴾ .

**الثاني**: أن الله سبحانه وتعالى أعطاه الشـفاعة ولكنه ﷺ لا يشفع إلا بإذن الله، ولا يشفع إلا لمن ارتضاه الله، ومن كان مشركـاً فإن الله لا يرتضيه فلا يأذن أن يشفع له كما قال تعالى: ﴿**وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى**﴾ (سورة الأنبياء:٢٨).

**الثالث**: أن الله تعالـى أعطى الشفـاعة غيـر محـمد صلى الله عليـه وآله وسلم فالملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون، والأولياء يشفعون، فقل له: هل تطلب الشفاعة من كل هؤلاء؟ فإن قال: لا. فقد خصم وبطل قوله وإن قال: نعم. رجع إلى القول بعبـادة الصالحين، ثم إن هذا المشرك المشـبه ليس يريد من رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يشفع له، ولو كان يريد ذلك لقال «اللهم شفـع فيَّ نبيك محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» ولكنه يدعو الرسول ﷺ مبـاشرة ودعاء غير الله شرك أكبـر مخرج من الملة، فكيف يريد هـذا الرجل الذي يدعو مع الله غيـره أن يشفع له أحد عند الله سبحانه وتعالى؟!.

فَالجَوابُ: أنَّ الله أعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ ونَهَاكَ عن هذا فقال ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (سورة الجن:١٨) فإذا كُنْتَ تَدْعُو الله أنْ يُشَفِّعَ نَبِيَّهُ فيْك فَأطعْهُ في قَوْله: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وأيْضاً فإنَّ الشَّفَاعة أُعْطيها غَيْرُ النَّبي ﷺ، فَصَحَّ أنَّ الملائكة يَشْفَعُون، والأوْليَاء يَشْفَعُون[1] ، والأفْرَاط يَشْفَعُون[2]، أتَقُولُ: إنَّ الله أعْطَاهُمُ الشَّفَاعَة فأطْلُبُها منْهُمْ؟

فَإنَّ قُلْتَ هَذا رَجَعْت إلى عبادة الصَّالحين التي ذَكَر الله في كتابه،، وإنْ قُلْتَ: لا. بَطَل قَوْلُك: «أعْطاهُ الله الشَّفَاعَة وأنا أطْلُبُهُ ممَّا أعْطاهُ الله».

فَإنْ قَال: أنَا لا أُشْرِكُ بالله شيئاً حاشَا وَكلاَّ، وَلَكنْ الالْتجَاء إلى الصَّالحين لَيْسَ بشرْك. فَقُلْ لَهُ: إذَا كُنْتَ تُقرُّ أنَّ الله حَرَّمَ الشِّرْك أعْظم من تَحْريم الزِّنا، وتَقرُّ أنَّ الله لا يَغْفرُهُ، فَمَا هذا الأمْرُ الذي حَرَّمَهُ الله وذكر أنَّهُ لا يَغْفرُهُ؟ فإنَّهُ لا يَدْري[3] .

---

(١) وقال المؤلف «إن الملائكة يشفعون، والأولياء يشفعون» سنده حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى واله وسلم الذي رواه مسلم مطولاً وفيه فيقول الله - عز وجل - «شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون» الحديث.

(٢) وقوله «الأفراط يشفعون» الأفراط هم الذين ماتوا قبل البلوغ وسنده حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم» أخرجه البخاري وله عنه وعن أبي سعيد من حديث آخر «لم يبلغوا الحنث» .

(٣) إذا قال هذا المشرك أنا لا أشرك بالله شيئاً والالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.

فَقُلْ لَهُ: كَيفَ تُبَرِّئُ نَفسَك[١] منَ الشِّرْك وأنْتَ لا تَعْرِفُهُ؟ أَمْ كَيْفَ يُحَرِّمُ الله عَلَيْكَ هَذَا وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لا يَغْفِرُهُ ولا تَسْأل عَنْهُ ولا تَعْرِفُهُ، أتَظُنُّ أنَّ الله يُحَرِمُهُ ولا يُبيِّنُهُ لنَا؟

فَإنْ قَال: الشِّرْكُ عِبادَةُ الأصْنَام، ونَحْنُ لا نَعْبُدُ الأصْنَام، فَقُلْ لَهُ: ما مَعْنَى عِبَادَة الأَصْنَام؟ أتَظُنُّ أنَّهم يَعْتَقدُون أنَّ تلكَ الأخْشَابَ والأحْجَار تَخْلُقُ، وتَرْزُقُ، وتُدَبِّرُ أمْرَ مَنْ دعَاها؟ فَهَذا يُكَذِّبُهُ القُرآن[٢].

---

فجوابه أن يقال له: ألست تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا، وأن الله لا يغفره فما هذا الشرك؟ فإنه سوف لا يدري ولا يجيب بالصواب مادام يعتقد أن طلب الشفاعة من رسول الله ﷺ ليس بشرك فهو دليل على أنه يعرف الشرك الذي عظمه الله تعالى وقال فيه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة لقمان: ١٣).

(١) قوله: «**قل له كيف تبرئ نفسك ... إلخ**» يعني إذا برأ نفسه من الشرك بلجوئه إلى الصالحين فجوابه من وجهين:

**الأول**: أن يقال كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه، وهل الحكم على الشيء إلا بعد تصوره فحكمك براءة نفسك من الشرك وأنت لا تعمله حكم بلا علم فيكون مردوداً.

**والوجه الثاني**: أن يقال لماذا؟ لا تسأل عن الشرك الذي حرمه الله تعالى من تحريم قتل النفس والزنا وأوجب لفاعله النار وحرم عليه الجنة أتظن أن الله حرمه علي عباده ولم يبينه لهم حاشاه من ذلك.

(٢) يعني إذا قال لك المشرك المشبه: الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام فأجبه بجوابين: **الأول**: قل له ما هي عبادة الأصنام؟ أتظن أن من عبدها يعتقد أنها تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها فإن زعم ذلك فقد كذب القرآن.

وإنْ قَال(١): هُوَ مَنْ قَصَد خشبَةً، أوْ حَجَراً، أو بنية على قَبْر أوْ غَيْره، يَدْعُون ذَلك وَيَذْبَحُون لهُ ويقُولونَ إنَّهُ يُقَرِّبُنا إلى الله زُلْفَى، وَيَدْفَعُ الله عنَّا ببركَته أو يُعْطينا ببَركَته.

فَقُلْ: صَدَقْتَ، وَهَذا هُوَ فِعْلُكُمْ عنْد الأحْجَار والأبنيَة التي على القُبُور وَغَيْرها، فهذا أقَرَّ أنْ فعْلَهُم هَذا هُوَ عبادة الأصْنَام فَهُو المطلُوبُ.

ويُقَالُ لَهُ أيْضاً: قَوْلُكَ الشِّرْكُ عبَادَةُ الأصنَام، هَلْ مُرَادُك أنَّ الشِّرْك مخصُوصٌ بهَذا، وأنَّ الاعْتماد على الصَّالحين ودُعاءهُم لا يَدْخُلُ في ذَلك؟ فَهَذا يَرُدُّهُ ما ذَكَر الله في كتَابه منْ كُفْر مَنْ تَعَلَّقَ على الملائكَة أو عيسى أو الصَّالحين(٢). فلابُدَّ أنْ يُقرَّ لك أنَّ مَنْ أشْرَك في عبَادة الله أحَداً منَ الصَّالحين فَهُو الشِّرْكُ المَذْكُورُ في القُرآن وَهَذا هُوَ المَطلُوبُ.

وَسرُّ المَسْألة(٣) : أنَّهُ إذا قَال أنَا لا أُشْركُ بالله.

---

(١) قوله: «وإن قال ... إلخ» هذا مقابل قولنا «إن زعم ذلك فقد كذب القرآن» يعني إن قال عبادة الأصنام أن يقصد خشبة أو حجراً أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك، ويذبحون له، ويقولون إنه يقربنا إلى الله زلفى قلنا: صدقت وهذا هو فعلك سواء بسواء وعليه فتكون مشركاً بإقرارك على نفسك وهذا هو المطلوب.

(٢) قوله «ويقال له أيضاً قولك: الشرك عبادة الأصنام» إلى قوله «وهذا هو المطلوب» هذا هو الجواب الثاني أن يقال: هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاء الصالحين لا يدخل في ذلك، فهذا يرده القرآن، فلابد أن يقر لك بأن من أشرك في عبادة أحد من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن وهذا هو المطلوب.

(٣) قوله: «وسر المسألة» يعني لبها أنه إذا قال أنا لا أشرك بالله، فاسأله ما معنى الشرك؟ فإن قال: هو عبادة الأصنام، فاسأله ما معنى عبادة الأصنام؟ ثم جادله على ما سبق بيانه.

فَقُلْ لَهُ: وَمَا الشِّرْكُ بالله؟ فَسِّرْهُ لي؟

فإنْ قال[١] : هُوَ عِبَادَةُ ا لأصْنَام.

فَقُلْ: ومَا مَعْنَى عِبَادَةُ الأصْنَام؟ فَسِّرْهَا لي[٢].

فَإنْ قَال: أنا لا أعْبُدُ إلا الله. فَقُلْ: ما مَعْنَى عبادة الله فَسِّرْهَا لي؟ فَإنْ فَسَّرهَا بمَا بَيَّنَهُ القُرآنُ فَهُو المطلُوب، وإنْ لَمْ يَعْرِفه فَكَيف يَدَّعَي شيئاً وهو لا يَعْرِفُهُ؟

وإنْ فَسَّر ذلك بغَيْر مَعْنَاه بَيَّنْتَ لهُ الآيَات الوَاضِحَات في مَعْنَى الشِّرك بالله وعبَادة الأوْثَان وأنَّه الذي يَفْعَلُونَهُ في هذا الزَّمَان بعَيْنه.

وأنَّ عبَادة الله وَحْدَه لا شَريك له هي التي يُنْكرُون عَلَيْنَا وَيصيحُون فيْه كما صاح إخْوانُهُم حَيْثُ قَالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (سورة ص:٥).

---

(١) قوله: «فإن قال ... إلخ» يعني إذا ادعى هذا المشرك أنه لا يعبد إلا الله وحده فاسأله: ما معنى عبادة الله وحده؟ وحينئذ لا يخلو من ثلاث حالات:

**الأولى**: أن يفسرها بما دل عليه القرآن فهذا هو المطلوب والمقبول، وبه يتبين أنه لم يحقق عبادة الله وحده حيث أشرك به.

**الثانية**: أن لا يعرف معناها، فيقال: كيف تدعي شيئاً وأنت لا تعرفه؟ أم كيف تحكم به لنفسك والحكم على الشيء فرع عن تصوره؟.

**الثالثة**: أن يفسر عبادة الله بغير معناها، وحيئذ يبين له خطؤه ببيان المعنى الشرعي للشرك وعبادة الأوثان وأنه الذي يفعلونه بعينه ويدعون أنهم موحدون غير مشركين.

(٢) يعني ويبين له أيضاً أن عبادة الله وحده هي التي ينكرونها علينا ويصرخون بها علينا كما فعل ذلك أسلافهم حين قالوا للرسول ﷺ: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ﴾ (سورة ص: ٥, ٧).

فإذَا عَرَفْتَ[1] أنَّ هَذَ الذي يُسَمِّيه المُشْرِكُون في زَمَانِنَا «كَبيرُ الاعْتقَاد» هُوَ الشِّرْكُ الذي نَزَلَ فيْه القُرْآن، وقَاتَل رَسُول الله ﷺ النَّاس علَيْه، فَاعْلَم أنَّ شرْك الأوَّلين أخَفُّ منْ شرْك أهْلِ زَمَانِنَا بأمْرَين أحَدُهُمَا: أنَّ الأوَّلين لا يُشْرِكون ولا يَدْعُون الملائكَة والأوْلياء والأوْثَان مع الله إلا في الرَّخَاء، وأمَّا الشِّدَّة فَيُخْلصُون لله الدُّعَاء كَمَا قال تعالى: ﴿وإذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إلاَّ إيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإنسَانُ كَفُوراً﴾ (سورة الإسراء:٦٧).

وَقَولُهُ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّه أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّه تَدْعُونَ إن كُنتُمْ صَادقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشفُ مَا تَدْعُونَ إلَيْه إن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾[2] (سورة الأنعام:٤٠، ٤١).

---

(١) قوله: «إذا عرفت» يعني علمت معنى العبادة وأن ما عليه أولئك المشركون في زمنه هو ما كان المشركون عليه في عهد النبي ﷺ عرفت أن شرك هؤلاء أعظم من شرك الذين قاتلهم النبي ﷺ من وجهين: الوجه الأول: أن هؤلاء يشركون بالله في الشدة والرخاء، وأما أولئك المشركون الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ فإنما يشركون في الرخاء، ويخلصون في حال الشدة، كما قال تعالى: ﴿**وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه** ...﴾ الآية، فكانوا إذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين لا يدعون غيره ولا يسألون سواه، ثم إذا أنجاهم إلى البرِّ إذا هم يشركون، أو فريق منهم بربهم يشركون فهذا هو وجه.

(٢) وهذه أيضاً تدل على أنهم كانوا يشركون في حال الرخاء وأنهم إذا أتاهم عذاب أو أتتهم الساعة فإنهم لا يدعون غير الله، كما قال تعالى: ﴿**بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون**﴾ فهم في هذه الحال ينسون ما يشركون، ولايدعون سوى الله عز وجل.

وقَولُهُ تَعَالى: ﴿وإذا مسَّ الإنسانَ ضرٌّ دعا ربَّهُ منيباً إليه ثمَّ إذا خوَّلهُ نعمةً منهُ نسي ما كانَ يدعو إليهِ من قبلُ وجعلَ للهِ أنداداً ليُضلَّ عن سبيلهِ قُلْ تمتَّعْ بكُفرِكَ قليلاً إنَّكَ منْ أصحابِ النَّارِ﴾[1] (سورة الزمر:٨). وقَولُهُ تَعَالى: ﴿وإذا غشيَهُم موجٌ كالظُّلَلِ دعَوا اللهَ مُخلصينَ لهُ الدِّينَ﴾[2] (سورة لقمان:٣٢).

فَمَنْ فَهِمَ هَذه المسْألَةَ التي وَضَّحَهَا الله في كتابه وهي أنَّ المُشركين الذينَ قَاتَلَهُم رَسُول الله ﷺ يَدْعُونَ الله ويَدْعُون غَيْرَه في الرَّخاء، وأمَّا في الضَّرَّاء والشِّدَّة فَلا يَدْعون إلا الله وَحْدَهُ لا شَريكَ له وَيَنْسَوْنَ سَادتهُم[3] تَبَيَّنَ لهُ الفَرْقُ بَيْنَ شرْك أهْلِ زَمَانِنَا وشرْكِ الأوَّلين ولَكنْ أيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ هذه المَسْألة فَهْماً رَاسخاً، والله المُسْتَعَانُ[4].

---

(١) وهذه أيضاً كالآيتين اللتين قبلها، تدل على أن الإنسان إذا مسه الضر دعا ربه منيباً إليه، ولكنه إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل، وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله . . فيشرك في حال الرخاء ويخلص في حال الشدة.

(٢) هذه أيضاً كالآيات السابقة تدل على أن هؤلاء المشركين إنما يشركون بالله في حال الرخاء، أما في حال الشدة فيلجأون لله وحده.

(٣) يبين ـ رحمه الله ـ أن المشركين في زمانه أشد شركاً من مشركي زمان رسول الله ﷺ، لأن مشركي زمانه يدعون غير الله في الرخاء وفي الشدة، وأما المشركون في عهد الرسول ﷺ، فإنهم يدعون الله ويدعون غيره في حال الرخاء، وأما في حال الشدة فلا يدعون إلا الله عز وجل، وهذا يدل على أن شرك المشركين في زمانه ـ رحمه الله ـ أعظم من شرك المشركين في عهد رسول الله ﷺ.

(٤) قوله: «**تبين له الفرق ... إلخ**» هذا جواب قوله: «**فمن فهم هذه المسألة ... إلخ**» أي تبين له الفرق، بين مشركي زمانه ـ رحمه الله ـ والمشركين في عهد رسول الله ﷺ، وأن شرك الأولين أخف من شرك أهل زمانه، ولكن أين من يفهم قلبه ذلك، أكثر الناس في غفلة عن هذا وأكثر الناس يلبس عليهم الحق بالباطل فيظنون الباطل حقاً كما يظنون الحق باطلاً.

الأمْـرُ الثَّاني: أنَّ الأوَّلينَ يَـدْعُونَ مع الله أنَاسـاً مُـقرَّبين عنْد الله إمَّـا أنبـيَاء، وإمَّـا أوْليَاء، وإمَّـا مَلائكَة، أو يَدْعُونَ أشْجـاراً، أوْ أحْجَاراً مُطيـعة لله ليْست عَاصـيَة، وأهْلُ زَمانِنَا يَدْعُون مع الله أنَاساً منْ أفْـسَق النَّاس، والذين يَدْعُونَهُمْ هُمُ الذين يَحْكُون عَنْهُمُ الفُجُور من الزِّنَا والسَّرِقَة وتَرْك الصَّلاة وغَيْر ذلك[١].

والَّذي يَعْـتَقد في الـصَّالح أوْ الَّذي لا يَعْـصي مثْل الخَشَب والحَجَر أهْـوَنُ ممَّنْ يَعْتَقدُ فيمَنْ يُشاهدُ فسْقَهُ وفَسَاده ويَشْهَدُ به.

إذَا تَحـقَّـقْتَ أنَّ الَّذين قَـاتَلَهُمْ رَسُـولُ الله ﷺ، أصَحُّ عُـقُولاً، وأخَفُّ شِـرْكـاً منْ هؤلاء، فاعْلَمْ أنَّ لهؤلاء شُـبْهَة يُورِدُنها على ما ذَكَرْنا وهي من أعْظَم شُـبَهِهِمْ، فأصْغ سَمْعَك لجَوابِهَا وَهي:

أنَّهُمْ يَقُـولُون: إنَّ الذين نَزَل فيهـم القُرآن لا يَشْهَـدون أن لا إله إلا الله، ويُكَذِّبُون الرَّسُول ﷺ، ويُنْكرُونَ البَـعْث، ويُكَذِّبُونَ القُرآن ويَجْعَلُونَهُ سحْـراً، ونَحْنُ نَشْهَدُ أنْ لا إله إلاَّ الله وأنَّ مُحَـمَّداً رَسُـولُ الله ونُصَدِّقُ القُـرآن، ونُؤمنُ بِالبَعْث، ونُصَلِّـي ونَصُوم، فَكَيْفَ تَجْعَلونَنا مثْل أُولئك؟[٢].

---

(١) قوله: «الأمر الثاني» أي في بيان أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زمانه ـ رحمه الله ـ أن المشركين في عهد الرسـول ﷺ، يدعون أناساً مقـربين من أولياء الله ـ عز وجل ـ أو يدعـون أحجـاراً أو أشجاراً مطـيعة لله ذليلة له، أمـا هؤلاء ـ أعني المشركين في زمانه ـ فإنهم يدعون من يحكون عنهم الفجور والزنا والسرقة وغير ذلك من معـاصي الله ـ عز وجل ـ ومعلوم أن من يعـتقد في الصالح، أو الجـماد الذي لا يعصي الله تعالى أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه ويشهد به وهذا ظاهر.

(٢) في هـذه الجـملـة يبـين ـ رحمـه الله ـ شبهـة من أعـظـم شبههـم ويجـيب عنهـا فيقول:

**فَالجَوَاب: أنَّهُ لا خلافَ بَيْنَ العُلَماء كُلِّهمْ أنَّ الرَّجُلَ إذا صَدَّق رَسُول الله ﷺ، في شيء وكَذَّبَهُ في شيء، أنَّهُ كَافرٌ لَمْ يَدْخُلْ في الإسلام، وكَذلك إذا آمَنَ بِبَعْضِ القُرْآن وَجَحَد بَعْضَه كَمَنْ أقرَّ بالتَّوحيد وَجَحَد وُجُوب الصَّلاة، أوْ أقرَّ بالتَّوْحيد والصَّلاة وجَحَد وجُوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بهذا كُله وَجَحَد الحجَّ، ولَمَّا لَمْ يَنْقَدْ أُنَاسٌ في زَمَن النبي ﷺ، للحَجِّ أنْزَل الله في حَقِّهِمْ ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾**[1] (سورة آل عمران:٩٧).

---

إذا تحققت أن المشركين في عهده عليه الصلاة والسلام أصح عقولاً وأخف شركاً من هؤلاء فاعلم أنهم يوردون شبهة حيث يقولون إن المشركين في عهد الرسول ﷺ، لا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولا يؤمنون بالبعث ولا الحساب ويكذبون القرآن، ونحن يعني (مشركي زمانه) نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان فكيف تجعلوننا مثلهم، وهذه شبهة عظيمة.

(١) يقول رحمه الله: «**إنهم إذا قالوا هذا، يعني أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ... إلخ**»، يعني فكيف يكونون كفاراً؟

وجوابه أن يقال: إن العلماء أجمعوا على أن من كفر ببعض ما جاء به الرسول ﷺ وكذب به، فهو كمن كذب بالجميع وكفر به ومن كفر بنبي من الأنبياء فهو كمن كفر بجميع الأنبياء لقول الله تعالى: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴾** (سورة النساء: ١٥٠، ١٥١)، وقوله تعالى في بني إسرائيل: **﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾** (سورة البقرة: ٨٥).

**ومَنْ أقرَّ بهذا كُلِّه**(١) **وجَحَد البَعْثَ كفَر بالإجْماع، وحَلَّ دَمُهُ ومَالهُ. كما قال تعالى: ﴿إنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ باللَّه ورُسُله ويُريدُونَ أن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّه ورُسُله ويَقُولُونَ نُؤْمنُ ببَعْضٍ ونَكْفُرُ ببَعْضٍ ويُريدُونَ أن يَتَّخذُوا بَيْنَ ذَلكَ سَبيلاً (١٥٠) أُولَئكَ هُمُ الْكَافرُونَ حَقًّا وأَعْتَدْنَا للْكَافرينَ عَذَابًا مُّهينًا﴾**(٢) (سورة النساء:١٥٠-١٥١).

---

ثم ضرب المؤلف لذلك أمثلة:

**المثال الأول:** الصلاة فمن أقر بالتوحيد وأنكر وجوب الصلاة فهو كافر.

قوله: «**أو أقر بالتوحيد ... إلخ**» هذا هو المثال الثاني وهو من أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة فإنه يكون كافراً.

**المثال الثالث:** من أقر بوجوب ما سبق وجحد وجوب الصوم فإنه يكون كافراً.

**المثال الرابع:** من أقر بذلك كله وجحد وجوب الحج فإنه كافر، واستدل المؤلف على ذلك بقوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ (سورة آل عمران:٩٧).

قول المؤلف ـ رحمه الله ـ «ولما ينقد .. الخ» ظاهره أن للآية سبب نزول هو هذا ولم أعلم لما ذكره الشيخ دليلاً.

(١) قوله: «**ومن أقر بهذا كله**» أي بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، ووجوب الصلاة والزكاة، والصيام، والحج، لكنه كذب بالبعث فإنه كافر بالله لقوله تعالى: ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ (سورة التغابن:٧). وقد حكى المؤلف ـ رحمه الله ـ الإجماع على ذلك.

(٢) قوله «**كما قال الله تعالى: ﴿إنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ باللَّه ورُسُله﴾ الآية**»، سبق الكلام على هذه الآية، وقد ساقها المؤلف مستدلاً بها على أن الإيمان ببعض الحق دون بعض كفر بالجميع كما قرره بقوله.

فَإِذَا كَانَ الله قَدْ صَرَّح فـي كِتَابِهِ: أَنَّ مَنْ آمَنَ بِبَعْضٍ وَكَفَرَ بِبَعْض فَهُـو الكَافِرُ حَقاً زَالَـتْ هـذه الشُّـبْـهَةُ، وَهـَذِهِ هـي التـي ذَكَرَها بَعْضُ أَهْلِ الإِحْسَـاء في كِتَـابِهِ الذي أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا(١) .

وَيُقال أَيْـضاً(٢) إِذَا كُنْتَ تُقِـرُّ أَنَّ مَنْ صَـدَّق الرَّسُـول ﷺ في كُلِّ شيء وَجَـحَـد وُجُوبَ الصَّـلاة أَنَّهُ كَافِـرٌ حَلالُ الدَّمِ والمَال بالإِجْـمَاع، وكَذَلك إِذَا أَقَـرَّ بِكُلِّ شيء إلاَّ البَعْث، وَكَذَلكَ لَوْ جَحَدَ وُجُوب صَوْم رَمَضَان وَصَدَّق بِذَلك كله لا تَخْتَلِفُ المَذَاهِبُ فيه، وَقَدْ نَطَقَ بِهِ القُرْآن كَمَا قَدَّمْنَا.

---

(١) لا أعلم عن هذا الكتاب شيئاً فليبحث عنه.

(٢) قوله: «**ويقال أيضاً إذا كنت تقر أن من صدق الرسول ... إلخ**» هذا جواب ثان فإن مضمـونه أنك إذا عرفت وأقررت بأن من جحد الصلاة والزكـاة والصيام والبعث كافر بالله العظيـم، ولو أقر بكل ما جاء به الرسول صلى الله عـليه وآله وسلم سوى ذلك فكيف تنكر أن يكون من جحد التوحيد وأشرك بالله تعالى كافراً؟ إن هذا لشيء عجيب، أن تجعل من جحد التوحيد مـسلماً، ومن جحد وجوب هذه الأشياء كافراً، مع أن التوحـيد هو أعظم مـا جاءت به الرسل عليـهم الصلاة والسـلام وهو أعم ما جاءت به الرسل، فجمع الرسل قد أرسلت به، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُـولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْـهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَـاعْبُـدُونِ**﴾ (سورة الأنبياء:٢٥) وهو أصل هذه الواجبات التي يكفر من أنكر وجوبها إذ لا تصح إلا به كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ**﴾، (سورة الزمر:٦٥،٦٦). فإذا كان من أنكر وجوب الصلاة، أو الحج، أو أنكر البعث كافراً، فمنكر التوحيد أشد كفراً وأبين وأظهر.

فَمَعْلُوم أن التَّوْحيد هُو أعْظَم فَريضَة جاء بها النبي ﷺ وَهُو أعْظَمُ من الصلاة، والزَّكاة، والصَّوْم، والحجِّ فَكَيْف إذَا جَحَد الإِنْسَان شيْئاً منْ الأمُور كَفَرَ وَلَوْ عَملَ بكُلِّ ما جَاء به الرَّسُول ﷺ؟ وإذَا جَحَد التَّوْحيدَ الذي هُو دينُ الرُّسُل كُلِّهِمْ لا يَكْفُر؟ سُبحان الله، ما أعْجَبَ هذا الجَهْل!

وَيُقَالُ أيْضاً[1]: هَؤلاء أصْحابُ رَسُول الله ﷺ قَاتلُو بَني حَنيفة وَقَدْ أسْلمُوا مع النبي صلى الله عليه وآله وَسَلَّم وَيُؤَذِّنون وَيُصَلُّون.

فَإن قال إنَّهُمْ يَقُولون: إنَّ مُسَيْلَمَة نَبيٌّ.

فَقُلْ: هذا هُوَ المَطْلُوبُ إذَا كان مَنْ رَفَع رَجُلاً إلى رُتْبَة النبي ﷺ كَفَر وَحَلَّ مَالَهُ وَدَمَهُ ولم تَنْفَعه الشَّهادتان ولا الصَّلاة، فَكَيْف بِمَنْ رَفَع شَمْسَان أوْ يُوسُف أوْ صَحَابياً أو نَبيّاً إلى مَرْتَبة جَبَّار السَّموات والأرْض؟ سُبْحان الله، ما أعْظَم شَأْنَه ﴿كَذَلكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوب الَّذينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الروم: ٥٩).

---

(١) قوله: «ويقال أيضاً هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ ... إلخ» هذا جواب ثالث ومضمونه أن الصحابة ﷺ قاتلوا مسيلمة وأصحابه، واستحلوا دماءهم وأموالهم مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويؤذنون، ويصلون وهم إنما رفعوا رجلاً إلى مرتبة النبي، فكيف بمن رفع مخلوقاً إلى مرتبة جبار السموات والأرض أفلا يكون أحق بالكفر ممن رفع مخلوقاً إلى منزلة مخلوق آخر؟! وهذا أمر واضح، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿كَذَلكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوب الَّذينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الروم: ٥٩).

وَيُقَالُ أَيْضاً[1] الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بن أبي طالب رضي الله عنه بالنَّار كُلُّهُمْ يَدَّعُون الإِسْلام وَهُمْ مِنْ أَصْحَاب علي رضي الله عنه وَتَعَلَّمُوا العِلْمَ من الصَّحَابة وَلَكن اعْتَقَدُوا في عَلِيٍّ مثل الاعْتقاد في يُوسُفَ وشَمْسَان وأمْثَالهما، فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ على قَتْلهِمْ وكُفْرِهِمْ؟ أَتَظُنُّونَ أَنَّ الصَّحَابة يُكَفِّرون المسلمين؟ أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ الاعْتقَاد في تَاجٍ وأمْثَاله لا يَضُرُّ والاعْتقَاد في عَلِيِّ بن أبي طالب رضي الله عنه يُكَفِّرُ؟

وَيُقَال أيْضاً: بَنُو عُبَيْد القَدَّاح[2] الَّذين مَلَكوا المَغْرب وَمصْر في زَمَان بَني العَبَّاس كُلُّهُمْ يَشْهَدُون أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، وَيَدَّعُون الإِسْلامَ ويُصَلُّونَ الجُمُعة والجَمَاعَة، فَلَمَّا أَظْهرُوا مُخَالفة الشَّرِيعة في أشْيَاء دُون ما نَحْنُ فيه أَجْمَعَ العُلَماء على كُفْرهم وقتَالهمْ، وأنَّ بِلادَهُمْ بِلادُ حَرْب، وَغَزَاهُمُ المُسْلمُون حتَّى اسْتَنْقَذُوا ما بأيْدِيهم مِنْ بُلْدَانِ المُسْلمين.

---

(١) قوله: «ويقال أيضاً إن الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار ... إلخ»، هذا جواب رابع فقد كان هؤلاء يدعون الإسلام، وتعلموا من الصحابة ومع ذلك لم يمنعهم هذا من الحكم بكفرهم، وتحريقهم بالنار لأنهم قالوا في علي ابن أبي طالب إنه إله، مثل ما يدعي هؤلاء بمن يؤلهونهم، كشمسان وغيره. فكيف أجمع الصحابة رضي الله عنهم على قتل هؤلاء، أتظنون أن الصحابة رضي الله عنهم يجمعون على قتل من لا يحل قتله، وتكفير من ليس بكافر؟! ذلك لا يمكن أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب يضر.

(٢) قوله: «ويقال أيضاً بنو عبيد القداح ... إلخ» هذا جواب خامس وهو إجماع العلماء على كفر بني عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر وكانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون الجمعة والجماعات ويدعون أنهم مسلمين، ولكن ذلك لم يمنعهم من حكم المسلمين عليهم بالردة حين أظهروا مخالفة المسلمين في أشياء دون التوحيد حتى قاتلوهم واستنفذوا ما بأيديهم.

وَيُقَال أيْضاً[(١)]: إذَا كَانَ الأوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إلا أنَّهُم جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْك وَتَكْذِيب الرَّسُولِ والقُرْآن، وإنْكَار البَعْث وَغَيْر ذلك فما مَعْنى الباب الذي ذَكَر العُلَمَاءُ في كُلِّ مذهب: (بَابُ حُكْمِ المُرْتَدِّ) وَهُوَ المُسْلمُ الذي يَكْفُرُ بَعْد إسْلامه، ثُمَّ ذَكَرُوا أنواعاً كثيرة كُلُّ نَوْعٍ منْها يُكَفِّرُ ويَحِلُّ دَمَ الرَّجُل وَمَالَه، حَتَّى أنَّهُمْ ذَكَرُوا أشْيَاء يَسِيرَة عنْد مَنْ فَعلَهَا، مثْلُ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بلِسَانه دُون قَلْبه، أوْ كَلِمَة يَذْكُرُهَا على وَجْه المَزْحِ واللَّعب.

وَيُقَالُ أيْضاً: الَّذين قال الله فيهم[(٢)] ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ ﴾ (سورة التوبة:٧٤). أمَا سَمِعْتَ الله كَفَّرَهُمْ بِكَلِمَةٍ مع كَوْنِهِمْ في

---

(١) قوله: «ويقال أيضاً إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم ... إلخ» هذا جواب سادس مضمونه أنه إذا كان الأولون لم يكفروا إلا حين جمعوا جميع أنواع الكفر من الشرك والتكذيب والاستكبار فما معنى ذكر أنواع من الكفر في (باب حكم المرتد) كل نوع منها يكفر حتى ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب، فلولا أن الكفر يحصل بفعل نوع منه وإن كان الفاعل مستقيماً في جانب آخر لم يكن لذكر الأنواع فائدة.

يقول رحمه الله تعالى: ومما يدفع شبه هؤلاء، هم الفقهاء في كل مذهب، ذكروا في كتبهم (باب حكم المرتد) وذكروا أنواعاً كثيرة، حتى ذكروا الكلمة يذكرها الإنسان بلسانه ولا يعتقدها بقلبه، أو يذكرها على سبيل المزح، ومع ذلك كفروهم وأخرجوهم من الإسلام بها وسيأتي لذلك مزيد بيان وإيضاح.

(٢) قوله: «ويقال أيضاً الذين قال فيهم ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا ﴾ ...» هذا جواب سابع مضمونه واقعتان:

زَمَن رَسُول الله ﷺ ويُجَاهدُون مَعَهُ ويُصَلُّونَ، ويزكُونَ، ويَحَجُون، ويُوحِّدُون، وكَذَلك الذينَ قال الله فيهم: ﴿قُلْ أَبِاللَّه وَآيَاته وَرَسُوله كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (سورة التوبة:٩٦). فَهَؤلاء الذين صَرَّح الله فيهمْ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْد إِيمَانهم وَهُمْ مَع رسول الله ﷺ في غَزْوَة تَبُوك قَالُوا كلمَة ذكروا أَنَّهم قالوها على وَجْه المزح فَتَأَمَّلْ هَذه الشُّبْهَة وهي قَوْلَهُم: تُكَفِّرُون من المُسْلمين أُناساً يَشْهَدُون أن لا إله إلا الله ويُصَلُّون ويَصُومُون ثُمَّ تَأَمَّلْ جوَابها فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ ما في هَذه الأوراق.

وَمِنَ الدَّلِيلِ على ذلك[1] أيْضاً ما حكى الله عن بني إِسْرَائيل مع إِسْلامهم وعلمهم وصَلاحهمْ أَنَّهُمْ قالوا لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (سورة الأعراف:١٣٨). وقَوْلُ أُنَاسٍ من الصَّحَابَة. «اجْعَلْ لنا ذاتَ أَنْواط» فَحَلَف النبي ﷺ، أنَّ هَذا نظير قول بني إِسْرَائيل اجْعَلْ لنا إلهاً.

---

**الأولى**: أن الله تعالى حكم لكفر المنافقين الذين قالوا كلمة الكفر مع أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه و على آله وسلم يصلون ويزكون ويحجون ويجاهدون ويوحدون.

**الثانية**: أنه حكم بكفر المنافقين الذين استهزؤا بالله وآياته ورسوله وقالوا «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء» يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء فأنزل الله فيهم ﴿**ولئن سألتم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم**﴾. فحكم بكفرهم بعد إيمانهم مع أنهم ذكروا أنهم يستهزؤن ولم يقولوا ذلك على سبيل الجد، وكانوا يصلون ويتصدقون، ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أن الجواب على هذه الشبهة من أنفع ما في هذه الأوراق.

(١) قوله: «**ومن الدليل على ذلك**» أي على أن الإنسان قد يقول أو يفعل ما هو كفر من حيث لا يشعر قول بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم

**وَلَكِنْ للمُـشْرِكين شُـبْهَـةٌ يُدْلُون بها عنْد هَذه القـصَّة وهيَ أَنَّهُمْ يَقُـولُون: إنَّ بني إسْرَائيل لم يَكْفُـروا بذَلـك، وكَذَلك الَّذيـن قَالُـوا للنَّبِــيِّ ﷺ اجْعَـل لنـا ذات أنْـواط لمْ يَكْفُروا.**

**فَـالجَـوابُ: أنْ نَقُـول إنَّ بَنـي إسْـرَائيل لَـمْ يَفْـعَلُوا ذلك، وكَـذلك الذين سَـألُوا النبي ﷺ، لم يَفْـعَلوا ذلـك، ولا خلاَف في أنَّ الـذينَ نَهَـاهُمُ النَّبيُّ ﷺ لَوْ لَمْ يُطيـعُـوهُ واتَّخَذُوا ذات أنْواط بَعْد نَهْيِه لكَفَرُوا وَهَذا هُوَ المَطْلُوبُ.**

**وَلَكنْ هَذه القـصَّةُ تُفـيـدُ أنَّ المُسْلم ـ بَل العَالـم ـ قَدْ يَقَعُ في أنْواعٍ منَ الشِّـرْك لا يَدْري عَنْها فَتُفيدُ التَّعَلُّم والتَّحرزُ ومَعْرِفَة أنَّ قَول الجَاهِل (التَّوْحيدُ فَهمنَاه) أنَّ هذا منْ أكْبَرِ الجَهْلِ ومكَايدِ الشَّيْطَان[1].**

---

لموسى عليه الصـلاة والسلام: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ وقول أصـحاب النبي ﷺ: «اجعل لنا ذات أنواط كمـا لهم ذات أنواط» فقال رسول الله ﷺ «الله أكبـر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كـما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (سورة الأعراف:١٣٨) لتركبن سنن من كان قبلكم»[1]. وهذا يدل على أن موسى ومحمداً عليهـما الصلاة والسلام قد أنكرا ذلك غاية الإنكار وهذا هو المطلوب، فإن هذين النبـيين الكريمـين لم يقرا أقوامهمـا على هذا الطلب الذي طلبوه بـل أنكـراه.

وقد شـبه بعض المشـركين في هذا الدليل فقـال: إن الصحابة وبـني اسراذيل لم يكفروا بذلك. وجواب هذه الشبهـة: أن الصحابة وبني إسرائيل لم يفعلوا ذلك حين لقوا من الرسولين الكريمين إنكار ذلك.

(١) هـذا شـروع فـي بيـان مـا تفـيـده القصة أعني قصـة الأنواط وبني إسرائيل من الفوائد:

وتَفُـيد أيْضـاً أنَّ المُسْلِم المُجْـتَهِـد(١) إذا تَكَلَّم بِكَـلام كُـفْـر وَهـُو لا يَـدْري فَنُبه علـى ذلـك فَـتَاب مـن سـاعَتـه أنَّـه لا يَكْفُـرُ كمـا فعـل بَنُو إسْـرائيل والَّذين سـألُوا النبـي ﷺ. وتُفيدُ أنَّهُ لـو لـم يَكْفُر(٢) فَإنَّهُ يُغَلَّظُ عَلَيْه الكلام تَغْليظاً شَـديـداً كَمَا فَعَل رَسُولُ الله ﷺ.

وَللْمُشْرِكين شُبْهَةٌ أُخْـرَى يَقُولُون: إنَّ النَّبيَّ ﷺ أنْكَر على أُسَامَة قَتْل مَنْ قال: «لا إله إلا الله»، وكذلك قوله" «أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِل النَّاس حَـتَّى يَقولُوا لا إله إلا الله» وأحَاديثُ

---

الفائدة الأولى: أن الإنسان وإن كان عالماً قد يخفي عليه بعض أنواع الشرك، وهذا يوجب على الإنسان أن يتعلم ويعرف حتى لا يقع في الشرك وهو لا يدري، وأنه إذا قال أنا أعرف الشرك وهو لا يعرفه كان ذلك من أخطر ما يكون على العبد، لأن هذا جهل مركب، والجـهل المركب شر من الجهل البسيط، لأن هذا الجاهل جـهلاً بسيطاً يتعلم وينتفع بعلمه، وأما الجاهل جهلاً مركباً فإنه يظن نفسه عالماً وهو جاهل فيستمر فيما هو عليه من العمل المخالف للشريعه.

(١) قوله: «ويفيد أيضاً أن المسلم المجتهد ... إلخ» هذه هي الفائدة الثانية أن المسلم إذا قال ما يقتضي الكفر جاهلاً بذلك ثم نبـه فانتبه وتاب في الحال فإن ذلك لا يضره لأنه معذور بجهله ولا يكلف الله نفـساً إلا وسعها، أما لو استـمر على ما علمه من الكفر فإنه يحكم بما تقتضيه حاله.

(٢) قوله: «وتفيد أيضاً أنه لو لم يكفر ... إلخ» هذه هي الفائدة الثالثة، أن الإنسان وإن كـان لا يدري عن الشيء إذا طلب مـا يكون به الكفـر فـإنه يغلظ عليـه تغليظاً شديداً؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه «الله أكبر إنها السـنن لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة» وهذا إنكار ظاهر.

أُخرَى في الكَفِّ عَمَّنْ قَالها، وَمُرَادُ هَؤلاء الجَهَلَة أنَّ مَنْ قَالَها لا يُكَفَّر، ولا يُقْتَلُ وَلَوْ فَعَل مَا فَعَل[١].

فَيُقَال لهؤلاء المُشْرِكين الجُهَّال: مَعْلُومٌ أنَّ رَسُول الله ﷺ قَاتَلَ اليَهُود وَسَبَاهُمْ وَهُمْ يَقُولُون: لا إله إلا الله، وأنَّ أصْحَاب رَسُول الله ﷺ قَاتَلُوا بَني حَنيفَة وَهُمْ يَشْهَدُون أن لا إله إلا الله وأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله وَيُصَلُّونَ ويَدَّعُون الإسْلام، وَكَذَلك الَّذين حَرَّقَهُم عَليٌّ بن أبي طالب بالنَّار[٢].

---

(١) قوله: «وللمشركين شبهة أخرى ... إلخ» يعني للمشركين المشبهين شبهة أخرى مع ما سبق من الشبهات وهي: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنكر على أسامة بن زيد رضي الله عنه قتل الرجل بعد أن قال لا إله إلا الله فقال: «**أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله**» ومازال يكررها عليه الصلاة والسلام على أسامة حتى قال أسامة: «تمنيت أني لم أكن أسلمت بعد»، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**» وأمثال ذلك من الأحاديث التي يستدلون بها على أن من قال: «لا إله إلا الله» لا يكفر ولا يقتل وإن كان على الشرك من جهة أخرى، وهذا من الجهل العظيم، فليس قول «لا إله إلا الله» منجياً من عذاب النار ومخلصاً للإنسان من الشرك إذا كان يشرك من جهة أخرى.

(٢) قوله: «**فيقال لهؤلاء المشركين الجهال ... إلخ**» هذا جواب الشبهة التي أوردها هؤلاء الجهال فيما سبق وجوابها بما يلي:

**أولاً**: أن النبي ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون لا إله إلا الله.

**ثانياً**: أن الصحابة قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدعون إنهم مسلمون.

**ثالثاً**: أن الذين حرقهم علي بن أبي طالب كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله.

وَهَؤلاء الجَهَلَةُ مُقِرُّون أنَّ مَنْ جَحَد شَيئاً من أرْكَان الإسلام كَفَر وقُتل ولَوْ قَالَها، فَكَيْف لا تَنْفَعُه إذا جَحَد فَرعاً من الفُرُوع، وتَنْفَعُهُ إذا جَحَد التَّوْحِيدُ الذي هُوَ أَصْلُ دِين الرسُل ورأسُهُ؟[١].

ولَكِنْ أعْداء الله ما فَهِمُوا مَعْنَى الأحاديث: فَأمَّا حَديثُ أُسَامَة فإنَهُ قَتَل رَجُلاً ادَّعَى الإسْلام بِسَبَب أنَّهُ ظنَّ أنَّهُ ما ادَّعَى الإسْلام إلاَّ خَوْفاً على دَمِه وَمَالِه، والرَّجُلُ إذا أظْهَرَ الإسْلامَ وَجَبَ الكَفُّ عَنْه حتَّى يَتَبيَّن مِنْهُ مَا يُخالِفُ ذَلِكَ، وأنْزَلَ الله تعالى في ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ (سورة النساء:٩٤) أيْ فَتَثَبَّتُوا، فالآيَة تَدُلُّ على أنَّهُ يَجبُ الكَفُّ عَنْهُ والتَثَبُّتُ، فإذا تَبَيَّنَ منْهُ بَعْد ذَلك ما يُخَالِفُ الإسْلام قُتِلَ لقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ ولَوْ كان لا يُقْتَلُ إذا قَالَها لَمْ يَكُنْ للتَثَبُّت معنى[٢].

---

(١) قوله: «وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث ... إلخ» هذا إلزام لهؤلاء الجهال واحتجاج عليهم بمثل ماقالوا به، فقد قالوا إن من أنكر البعث فإنه يقتل كافراً، ويقولون من جحد وجوب شيء من أركان الإسلام، فإنه يحكم بكفره ويقتل وإن قال لا إله إلا الله، فكيف لا يكفر ولا يقتل من يجحد التوحيد الذي هو أساس الدين وإن قال لا إله إلا الله؟! أفلا يكون هذا أحق بالتكفير ممن جحد وجوب الصلاة، أو وجوب الزكاة؟!، وهذا إلزام صحيح لا محيد عنه.

(٢) قوله: «ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث ... إلخ». يعني الأحاديث التي شبهوا بها ثم أخذ ـ رحمه الله ـ يبين معناها فقال:

فأما حديث أسامة، يعني الحديث الذي قتل فيه أسامة ﷺ من قال لا إله إلا الله حين لحقه أسامة ليقتله وكان مشركاً، فقال: «لا إله إلا الله»، فقتله أسامة لظنه أنه

وكَذَلكَ الحديثُ الآخَرُ وأمْثَالُهُ معْنَاهُ ما ذَكَرنَاهُ أنَّ مَنْ أظهَرَ التَّوحيد والإسْلام وَجَبَ الكفُّ عنْه إلى أنْ يُتَبَيَّنَ منْهُ ما يُنَاقضُ ذَلك والدَّليلُ عَلى هَذَا أنَّ رَسُول الله ﷺ، قال: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَال لا إِلَه إلا الله» وَقَال: « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إله إلا الله» هُوَ الذي قال في الخَوَارِجِ «أيْنَمَا لَقيتُمُوهُمْ فَاقْتُلوهم لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأقْتُلَنَّهُمْ قَتْل عَاد» مَعَ كَونِهِمْ منْ أكْثَر النَّاسِ عبَادَةً وَتَهْليلاً وَتَسْبيحاً، حَتَّى أنَّ الصَّحابَة يَحْقرُونَ أنْفُسَهُمْ عنْدَهُمْ، وَهُمْ تَعَلَّمُوا العلْمَ منَ الصَّحابَة فَلَمْ تَنْفَعْهُم لا إله إلا الله، ولا كَثْرَةُ العبَادَة، ولا ادِّعاءُ الإسْلامِ لَمَّا ظَهرَ منْهُم مُخالفَةُ الشَّريعَة(١).

---

لم يكن مخلصاً في قوله وإنما قاله تخلصاً فليس فيه دليل على أن كل من قال «لا إله إلا الله» فهو مسلم ومعصوم الدم، ثم بعد ذلك ينظر في حاله حتى يتبين واستدل المؤلف لذلك بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ (سورة النساء:٩٤) الآية، فأمر الله تبارك وتعالى بالتبين أي التثبت وهذا يدل على أنه إذا تبين أن الأمر كان خلاف ما كان عليه فإنه يجب أن يعامل بما يتبين من حاله، فإذا بان منه ما يخالف الإسلام قتل ولو كان لا يقتل مطلقاً إذا قالها لم يكن فائدة للأمر بالتثبت.

وعلى كل حال فإن حديث أسامة رضي الله عنه ليس فيه دليل على أن من قال «لا إله إلا الله» وهو مشرك يعبد الأصنام والأموات والملائكة والجن وغير ذلك يكون مسلماً.

(١) قوله: **«وكذلك الحديث الآخر وأمثاله»** يريد بالحديث الآخر قوله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس ... إلخ»** فبين ـ رحمه الله تعالى ـ أن معنى الحديث أن من أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين أمره، لقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ لأن الأمر بالتبين يحتاج إليه إذا كنا في شك من ذلك، أما لو كان قوله «لا إله إلا الله» بمجرده عاصماً من القتل فإنه لا حاجة إلى التبين، ثم استدل المؤلف ـ رحمه الله ـ لما ذهب

وكَذَلكَ مَا ذَكَرْنَاهُ منْ قتَال اليَهُود، وقتَال الصَّحابَة بَني حَنيفَة، وكذلكَ أرَادَ النَّبيُّ ﷺ أنْ يَغْزو بَني المُصْطَلق لَمَّا أخْبَرهُ رَجُلٌ أنَّهُمْ مَنَعُوا الزَّكَاة حَتَّى أنْزَلَ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إن جَاءَكُمْ فَاسقٌ بنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (سورة الحجرات:٦). وكَانَ الرَّجُلُ كَاذباً عَلَيْهم، وكَلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلى أنَّ مُرَاد النَّبيِّ ﷺ في الأحَاديث التي احْتَجُّوا بهَا مَا ذَكَرنَاه[1].

ولَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرى: وَهُوَ ما ذَكَر النبيُّ ﷺ أنَّ النَّاسَ يومَ القيامَة يَسْتغيثُونَ بآدَمَ، ثُمَّ بنُوحٍ، ثُمَّ بإبْراهيمَ، ثُمَّ بمُوسى، ثُمَّ بعيسى فَكُلُّهُمْ يَعْتَذر حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ قَالُوا: فَهَذا يَدُلُّ على أنَّ الاسْتغاثة بغَير الله لَيْسَتْ شرْكاً.

وَالجَوابُ: أنْ نَقُولَ سُبْحَانه مَنْ طَبَع على قُلُوب أعْدَائه فإنَّ الاسْتغَاثة بالمَخْلُوق فيمَا يَقْدرُ عَلَيْه لا نُنْكرُها، كَمَا قَال الله تعالى في قصَّة مُوسى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذي من شيعَته عَلَى الَّذي منْ عَدُوِّه﴾ (سورة القصص:١٥). وكَمَ يَسْتَغيثُ الإنْسَانُ بأصْحَابه في

---

إليه بأن الذي قال لأسامة «أقتلته بعد أن لا إله إلا الله» وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ...» هو الذي أمر بقتال الخوارج وقال: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم» مع أن الخوارج يصلون ويذكرون الله ويقرؤون القرآن، وهم قد تعلموا من الصحابة ﷺ ومع ذلك لم ينفعهم ذلك شيئاً؛ لأن الإيمان لم يصل إلي قلوبهم كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم «إنه لا يجاوز حناجرهم».

(١) وهو أن مجرد قول «لا إله إلا الله» ليس مانعاً من القتل بل يجوز قتال من قالها إذا وجد سبب يقتضي قتاله.

الحَرْبِ أوْ غَـيْرِه في أشْـيَاء يَقْـدرُ عليها المَخْـلُوقُ، ونَحْنُ أنْكَرْنَا اسْـتِغَاثَة العِبَادة التي يَفْعَلُونَها عِنْد قُبُورِ الأوْلِيَاء، أوْ في غَيْبَتِهِم في الأشْياء التي لا يَقْدرُ عَلَيْها إلاَّ الله[1].

إذَا ثَبَتَ ذَلكَ فَـاسْتِـغَاثَتُـهُم بالأنْبِـيَاء يَوْمَ القِـيَـامَة يُريدُون مِنهُمْ أنْ يَدْعُـوا الله أنْ يُحَـاسِبَ النَّاسَ حَـتَّـى يَسْـتَـرِيح أهْلُ الجَنَّة مِنْ كَـرْبِ المَوْقف وهَـذَا جَـائزٌ في الدُّنْيَـا والآخِرَة، وذَلك أن تَـأتي عِنْدَ رَجُلٍ صَالحٍ حي يُجَـالِسُكَ ويَسْمَعَ كَـلامكَ فتَـقُولُ له: ادْعُ الله لي، كَمَا كان أصْـحَابُ رسُولِ الله ﷺ، يَسْألُونَهُ ذلك في حَيَاتـه، وأمَّا بَعْدَ مَوْته فَحَاشَا وكَلا أنَّهُمْ سألُوه ذلك عنْد قَـبْرِه، بَلْ أنْكَرَ السَلَفُ الصَّالحَ على منْ قَصَد دُعَاء الله عِنْدَ قَبْرِه فكَيْفَ بِدُعَائه نَفْسه؟[2].

---

(١) قوله: «ولهم شبهة أخرى» يعني في أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً وقد أجاب عنها بجوابين:

**الأول:** أن هذه استغاثة بمخلوق فيما يقدر عليه وهذا لا ينكر لقوله تعالى في قصة موسى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾.

**الجواب الثاني:** أن الناس لم يستغيثوا بهؤلاء الأنبياء الكرام ليزيلوا عنهم الشدة، ولكنهم يستشفعون بهم عند الله ـ عز وجل ـ ليزيل هذه الشدة، وهناك فرق بين من يستغيث بالمخلوق ليكشف عنه الضرر والسوء، ومن يستشفع بالمخلوق إلى الله ليزيل الله عنه ذلك.

(٢) قوله: «إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء ... إلخ» هذا هو الجواب الثاني وهو أن استغاثتهم بالأنبياء من باب طلب دعائهم إلى الله ـ عز وجل ـ أن يريح الخلق من هذا الموقف العظيم، وليس دعاءً لهم، بل طلب دعائهم لربهم عز وجل، وهذا أمر جائز كما أن الصحابة ﷺ يسألون النبي ﷺ أن يدعوا الله لهم، ففي الصحيحين من

.........................................

---

حديث أنس ﷺ أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال: «يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، ولم يقل فأغثنا يا رسول الله، بل قال: «ادع الله يغيثنا»، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «**اللهم أغثنا**» ثلاث مرات، فأنشأ الله سبحانه وتعالى سحابة فأمطرت، ولم يروا الشمس أسبوعاً كاملاً، والمطر ينهمر، وفي الجمعة التالية دخل رجل أو الرجل الأول فقال: «يا رسول الله غرق المال، وتهدم البناء فادع الله تعالى يمسكها عنا» فدعا النبي ﷺ ربه وقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والضراب وبطون الأودية، ومنابت الشجر**» ، فانفجرت السماء وخرج الصحابة يمشون في الشمس.

فهذا طلب دعاء من رسول الله ﷺ لله ـ عز وجل ـ وليس دعاء لرسول الله ﷺ ولا استغاثة به، وبهذا يعرف أن هذه الشبهة التي لبس بها هؤلاء شبهة لا تنفعهم بل هي حجة داحضة عند الله عز وجل.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أنه لا بأس أن تأتي لرجل صالح تعرفه وتعرف صلاحه فتسأله أن يدعو الله لك، وهذا حق إلا أنه لا ينبغي للإنسان أن يتخذ ذلك ديدناً له كلما رأى رجلاً صالحاً قال ادع الله لي، فإن هذا ليس من عادة السلف ﷺ، وفيه إتكال على دعاء الغير، ومن المعلوم أن الإنسان إذا دعا ربه بنفسه كان خيراً له لأنه يفعل عبادة يتقرب بها إلى الله ـ عز وجل ـ، فإن الدعاء كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (سورة غافر: ٦٠) الآية. والإنسان إذا دعا ربه بنفسه فإنه ينال أجر العبادة ثم يعتمد على الله عز وجل في حصول المنفعة ودفع المضرة، بخلاف ما إذا طلب من غيره أن يدعو الله له فإنه يعتمد على ذلك الغير وربما يكون تعلقه بهذا الغير أكثر من تعلقه بالله عز وجل، وهذا الأمر فيه خطورة وقد قال شيخ

وَلَهُمْ شُبْهَةٌ(١) أُخْرَى وَهِي: قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلام لَمَّا أُلْقِيَ في النَّار اعْتَرَضَ لَهُ جِبْرِيلُ في الهَواء فقَال: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فقَال إِبْرَاهِيمُ: أَمَّا إِلَيْك فَلا، قَالوا: فَلَو كَانَتْ الاسْتِغَاثَةُ بِجبريل شِرْكاً لَمْ يَعْرِضْهَا على إِبْرَاهِيم؟ فَالجَواب: أَنَّ هَذا مِنْ جِنسْ الشُّبْهَة الأُولى: فإِنَّ جِبْرِيل عَرَض عليه أَنْ يَنْفَعَهُ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْه، فإِنَّه كَمَا قَال الله تعالى فيه ﴿ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ (سورة النجم:٥) فَلَو أَذِنَ الله لَهُ أَنْ يأخُذَ نَار إِبْرَاهِيم وَمَا حَوْلَها من الأَرْضِ والجِبَال ويُلْقِيها في المَشرق أَوْ المَغرب لفَعَل، ولَو أَمَرَه أن يَضَع إِبْرَاهِيم في مَكَان بعيد عَنْهم لفَعل، وَلَوْ أَمَرَه أَنْ يَرْفَعَهُ إلى السَّماء لَفَعل، وهَذَا كَرَجُلٍ غَنيٍّ لَهُ مالٌ كَثِيرٌ يَرى رَجُلاً مُحتاجاً فَيَعْرِض عَلَيْه أَنْ يُقْرِضَهُ، أَوْ أَنْ

---

الإسلام ـ رحمه الله ـ «إذا طلب الإنسان من شخص أن يدعو له فإن هذا من المسألة المذمومة» فينبغي للإنسان إذا طلب من شخص أن يدعو له أن ينوي بذلك نفع ذلك الغير بدعائه له، فإنه يؤجر على هذا وربما ينال ما جاء به الحديث أن الرجل إذا دعا لأخيه بظهر الغيب قالت الملائكة آمين ولك بمثلها.

(١) قوله: «**ولهم شبهة أخرى وهي قصة إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار ... إلخ**». والجواب عن هذه الشبهة: أن جبريل إنما عرض عليه أمراً ممكناً يمكن أن يقوم به فلو أذن الله لجبريل لأنقذ إبراهيم بما أعطاه الله تعالى من القوة فإن جبريل كما وصفه الله تعالى ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (سورة النجم:٥)، فلو أمره الله أن يأخذ نار أبراهيم وما حولها ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ولو أمره أن يحمل إبراهيم إلى مكان بعيد عنهم لفعل ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل.

ثم ضرب المؤلف بهذا مثلاً رجل غني أتى إلى فقير فقال هل لك حاجة في المال؟ من قرض أو هبة أو غير ذلك؟ فإنما هذا مما يقدر عليه، ولا يعد هذا شركاً لو قال نعم لي حاجة أقرضني، أو هبني لم يكن مشركاً.

يَهَبَه شَيئاً يَقْضي بِه حَاجَتَهُ فَيَأبَى ذَلك الرَّجُلُ المُحتاج أنْ يأخُذَ ويَصْبر إلى أنْ يأتيه الله برزقٍ لا منَّة فيه لأحَدٍ. فأيْنَ هَذَا مِنْ استِغَاثة العِبَادة والشرْك لو كَانوا يَفْقَهُون؟!

وَلنَخْتِم الكَلامَ [١] ـ إن شَاء الله تعَالى ـ بمَسْألة عظيمَة مُهمَّة جداً تُفْهَم ممَّا تَقَدَّم، ولَكنْ نُفْرِدُ لها الكَلامَ لعظَم شأنها، ولكَثْرة الغلط فيها فَنَقُول: لا خلاف أنَّ التَّوحيد لابُدَّ أنْ يَكُونَ بالقَلْب واللِّسَان والعَمَل، فإنْ اختَل شيء منْ هَذا لم يَكُن الرَّجُلُ مُسْلماً، فإنْ عَرفَ التَّوحِيد ولَمْ يَعْمَلْ بِه فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ كفِرعَوْنَ وإبْليسَ وأمْثَالِهمَا.

---

(١) ختم المؤلف هذه الشبهات بمسألة عظيمة هي:

أنه لابد أن يكون الإنسان موحداً بقلبه وقوله وعمله فإن كان موحداً بقلبه ولكنه لم يوحد بقوله أو بعمله فإنه غير صادق في دعواه، لأن توحيد القلب يتبعه توحيد القول والعمل لقول النبي ﷺ: **«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»** فإذا وحَّد الله كما زعم بقلبه ولكنه لم يوحده بقوله أو فعله فإنه من جنس فرعون الذي كان مستيقناً بالحق عالماً به لكنه أصر وعاند وبقي على ما كان عليه من دعوى الربوبية، قال الله تعالى: **﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾** (سورة النمل:١٤). وقال تعالى عن موسى أنه قال لفرعون: **﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ﴾** (سورة الإسراء:١٠٢).

وَهَذا يَغْلط فيه كثيرٌ مِنْ النَّاس يَقُولُون: هَذَا حَقٌّ ونَحْنُ نَفْهَمُ هَذا، ونَشْهَدُ أنَّهُ الحقُّ، ولَكنَّا لا نَقْدرُ أنْ نُفْعَلَهُ ولا يَجُوز عِنْدَ أهْلِ بَلَدنا إلاَّ مَنْ وَافَقَهُم، وَغَيْر ذَلك مِنْ الأعْذَارِ[١].

ولَمْ يَدْرِ المسْكين[٢] أنَّ غَالبَ أئمَّة الكُفْر يَعْرفُونَ الحَقَّ، ولَمْ يَتْرُكُوهُ إلاَّ لشيء مِنَ الأعْذَار كمـا قَال تعَالى: ﴿اشْتَرَوْا بآيَاتِ اللَّه ثَمَنًا قَليلاً﴾ (سورة التوبة:٩)، وَغَيْر ذَلكَ مِنْ الآيَات كَقَوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (سورة البقرة:١٤٦).

---

(١) قوله: «وهذا يغلط فيه كثير من الناس ... إلخ» يعني أن كثيراً من الناس يعرف الحق في هذا ويقولون نحن نعرف أن هذا هو الحق ولكننا لا نقـدر عليه لمخالفته أهل بلدنا ونحـو ذلك من الأعذار، وهذا العـذر لا ينفعهم عـند الله ـ عز وجل ـ ؛ لأن الواجب على المرء أن يلتـمس رضا الله ـ عز وجل ـ ولو سـخط الناس، وأن لا يتبع رضا الناس بسخط الله عـز وجل، وهذا يشبه من يحتجـون بما كان عليه آباؤهم وهم الذين حكى الله عنهم ﴿إِنَّا وَجَـدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّـةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّـهْـتَـدُونَ﴾ (سورة الزخرف:٢٢) والآية الأخرى ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (سورة الزخرف:٢٣).

(٢) قوله: «ولم يدر المسكين» أي المعدم من الفقه والبصـيرة أن غالب أئمة الكفر كانوا يعرفون الحق لكنهم عاندوا فخالفوا الحق كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ وقال: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ فكانوا يعتذرون بأعذار لا تنفعهم كخوف بعضهم من فوات الرئاسة وتصدر المجالس ونحو ذلك.

فكثير من أئمة الـكفار يعرفون الحق ولكنهم يكرهونه ولا يتبعـونه، ومعرفة الحق دون العمل به أشد من الجهل بالحق، لأن الجاهل بالحق يعذر، وقد يعلم فيتنبه ويتعلم بخلاف المعاند المستكبر، ولهذا كان اليهود مغضوباً عليهم لعلمهم بالحق وتركهم إياه، وكـان النصارى ضـالين لأنهم لم يعـرفـوا الحق، لكن بعد بعـثـة الرسول ﷺ كـان النصارى عالمين فكانوا مثل اليهود في كونهم مغضوباً عليهم.

فإنْ عَـملَ بالتَّوحـيد عَـملاً ظاهراً[١] وَهُو لا يَفْهَـمُهُ، أوْ لا يَعْـتقـدُهُ بقَلْبه فَـهُو مُنَافقٌ، وَهُوَ شَرٌّ منَ الكَافرِ الخَـالص لقَوله تعَالى: ﴿إنَّ الْمُنَافقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (سورة النساء:١٤٥).

وَهَذه المسـألَةُ كَبيـرَةٌ طَويلَةٌ[٢] تَتَبَيَّنُ لَكَ إذَا تأمَّلْتَها في ألسـنَة النَّاس تَرَى مَنْ يَعْرفُ الحقَّ ويَتْـرُكُ العَمَـلَ به لخوْف نَقْص دُنيـا، أو جَـاه، أو مُدَارَاة لأحَـد، وَتَرى مَنْ يَعْـمَل به ظاهراً لا بَاطناً فإذَا سألْتَه عَمَّا يَعْتَقد فإذا هُو لا يَعْرِفُهُ ولَكن عَلَيْكَ بفَهْمِ آيَتَين منْ كتَاب الله:

أُوْلاهُمَا[٣] : قولُه تعَالى: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (سورة التوبة:٩٦)، فإذَا تَحقَّـقت أنَّ بَعْضَ الصَّحـابَةِ الَّذين غَزَوا الرُّوم مَع رَسُولِ الله ﷺ كَـفَرُوا بسَـبب كَلمَة

---

(١) يقول رحمه الله: «فإن عـمل بالتوحيد عـملاً ظاهراً» أي باللسان والجوارح، ولكنه لم يعتقده بقلبه ولم يفهمه فإنه منافق، وهو شر من الكافر المصرح بكفره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وهذا ظاهر فيمن كـان معانداً يعلم الحق ولكنه كرهه بقلبه ولم يطمئن إليه، ولم يستقر به، ولكنه أظهر الالتزام بالشريعة خداعاً لله ولرسوله وللمؤمنين، وأما من كان لا يفهمه بالكلية ولا يدري ولكنه يعمل كما يعمل الناس ولم يتبين له ذلك الشـيء الذي يعملونه والمقصود منه، فإن الواجب أن يبلغ ويعلم، فإن أصر على ما هو عليه من إنكاره بقلبه فهو منافق.

(٢) بين ـ رحمه الله ـ أن هذه المسألـة مسألة كبيرة طويلة يعني أن تتـبعها يطول بواسطة أن كثـيراً من الناس قد يأبى الحق خـوفاً من أن يلام عليه، أو رجـاء لجاه أو دنيا، فيحـتاج أن يتتبع أحوال الناس ويعرفهـا تماماً حتى يعلم من هو منافق ومن هو مؤمن إيماناً خالصاً.

(٣) يحث المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ على تدبر آيتين من كتاب الله ـ عز وجل ـ: أولاهما: قوله تعالى: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ وهذه الآية نزلت في المنافقين

قَالُوهَا عَلى وَجْه المزح واللّعب تبيّنَ لَكَ أنَّ الّذي يَتَكَلّمُ بـالكُفْر، أَوْ يَعْمَلُ به خَوْفاً من نَقْصِ مَال، أو جَاه، أوْ مُدَارَاة لأحَد أعْظَمُ ممَّنْ يَتَكلّمُ بكَلمة يَمْزَحُ بهَا.

والآيَة الثّانية[1] : قولُه تعَالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ﴾ (سورة النحل:١٠٦، ١٠٧). فَلَم يَعْذر الله منْ هؤلاء إلاَّ مَنْ أُكْره مَعَ كَوْن قَلْبه مُطمئناً بالإيمَان وأمَّا غَيْر هَذا فَقَدْ كَفَرَ بَعْدَ إيمانه سواءٌ فَعَلَهُ خوفاً، أو مُدَاراةً، أوْ مَشَحَّةً بوَطَنه أوْ أهْله أوْ عَشيرته أوْ مَاله، أوْ فَعَلَه على وجه المزْح أوْ لغيْر ذَلكَ منْ الأغْرَاض إلا المُكْرَه. فالآيَةُ تدلُّ على هذا[2] منْ جهَتين:

---

الذين سبوا رسول الله ﷺ وأصحابه القراء. فالمؤلف ـ رحمه الله ـ يقول: إذا كان هؤلاء المنافقين الذين غزو مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك كفروا بكلمة قالوها على سبيل المزاح لا على سبيل الجد فما بالك بمن يكفر كفراً جدياً يريده بقلبه من أجل خوف فوات مركز، أو جاه، أو ما أشبه ذلك، فإنه يكون أعظم وأعظم، فالواقع أن كلهم كفروا بعد إيمانهم سواء فعلوا ذلك استهزاءً أو فعلوه على سبيل الجد والكفر، خوفاً أو رجاءً، فإن كل إنسان يظهر الإسلام ويبطن الكفر فهو منافق على أي وجه كان.

(١) هذه هي الآية الثانية التي حث المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ على تدبرها وهذه الآية تدل على أنه لا يعذر أحد كفر بعد إيمانه إلا من كان مكرهاً، وأما من كفر على سبيل الاختيار لأي غرض من الأغراض سواءً كان مزاحاً، أو مشحة في وظيفة، أو دفاعاً عن وطن، أو ما أشبه ذلك فإنه يكون كافراً، فالله ـ عز وجل ـ لم يعذر من كفر إلا من كان مكرهاً بشرط أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان.

(٢) أي أن الله تعالى لم يستثن في الآية من الكافرين إلا من أكره، والإكراه لا يكون إلا على القول أو الفعل، أما عقيدة القلب فلا يطلع عليها إلا الله، ولا يتصور

الأولى: قوله: ﴿إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ﴾ فَلَمْ يَسْتَثْنِ الله تعَالى إلاَّ المُكْرَه، ومَعْلُومٌ أنَّ الإنسَانَ لا يُكْرَه إلاَّ عَلى الكَلامِ أو الفِعْلِ وأمَا عَقِيدةُ القَلْبِ فَلا يُكْرَه عَليها أحَدٌ.

والثانية[1]: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ﴾ فَصرَّحَ أنَّ هَذَا الكُفْرَ والعَذابَ لمْ يَكُنْ بِسَبَبِ الاعْتِقَادِ، أو الجَهْلِ، أو البُغْضِ للدين، أو مَحَبَّةِ الكفْرِ وإنَّما سَبَبُه أنَّ لَهُ في ذَلِكَ حظاً منْ حظُوظِ الدُّنْيَا فآثرَه عَلى الدِّين.

والله سُبْحَانَه وتعَالى أعلمُ وصَلَّى الله عَلى نبينَا محمَّد وآله وصحبِه وسلَّم[2].

---

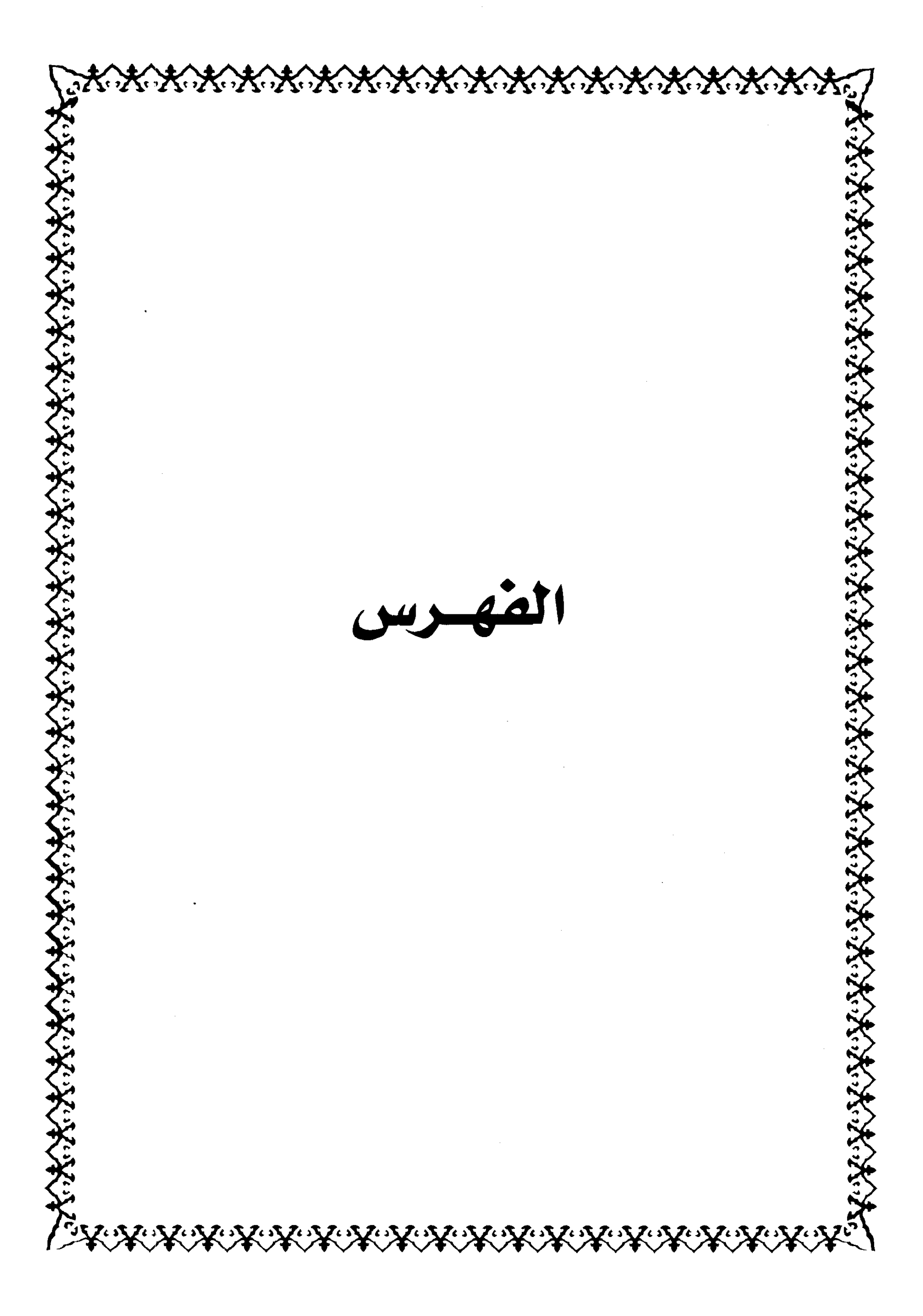
فيها الإكراه، لأنه لا يمكن لأحد أن يكره شخصاً فيقول: لابد أن تعتقد كذا وكذا؛ لأنه أمر باطن لا يعلم به، وإنما الإكراه على ما ظهر فقط بالقول أو الفعل.

(١) الوجه الثاني: أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فكان كفرهم سببه أنهم استحبوا الدنيا على الآخرة، ويعني بالدنيا كل ما يتعلق بها من جاه، أو مال، أو رئاسة أو غير ذلك ممن آثر الدنيا بما فيها على الآخرة وكفره من أجل إيثار الدنيا فإنه يكون كافراً وإن لم يكن مستحباً للكفر ولكنه مستحب لحياة الدنيا فإنه يكفر، وذلك أن بعض الناس يكفر لأنه يحب الكفر ويعجبه، وبعض الناس يكفر لمال، أو جاه، أو رئاسة، وبعض الناس يكفر لينال بذلك شيئاً من السلطان وما أشبه ذلك فالأغراض كثيرة.

نسأل الله تعالى أن يهدينا الصراط المستقيم وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا.

(٢) ختم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى كتابه هذا برد العلم إلى الله عز وجل والصلاة والسلام على نبيه محمد ﷺ وبهذا انتهى كتاب كشف الشبهات فنسأل الله تعالى أن يثيب مؤلفه أحسن ثواب وأن يجعل لنا نصيباً من أجره وثوابه وأن يجمعنا وإياه في دار كرامته إنه جواد كريم والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد

❀❀❀



# الفهـرس

# الفهـرس

| الموضوع | صفحة |
|---|---|

تم الفهرس والحمد لله رب العالمين




هـاتـف : ٢٩٨٤٣٧٥
فاكـس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمول : ٠١٠١٩٠٠٠٣٨